التاريخ والهيئة والـمصداقية

الجمعة ٣٠ أبريل ٢٠١٠

بحثتُ وبحثتُ في أروقةِ صفحات التاريخ، وبين كتب السيرة النبوية، وفي سِيَر الصحابة والتابعين، فلم أجد مُسمَّى "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ولم أجد له ذكرًا إلَّا في القرآن الكريم عامةً للناس أجمعين: { **الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ** }[١] وهذا مصطلحٌ عامٌ يأمر به الله كافة المسلمين، الأمر بالمعروف.

وهنا أتوقف عند كلمة المعروف، ما هو تفسير القرآن واللغة العربية للمعروف؟ هي كلمة تدلُّ على الرقةِ واللطافةِ والحوارِ بشتَّى أنواع الطرق المعروفة لدى العامة من الأدبِ الإسلامي النبوي، والآمرة والسائلة من الطرف الآخر المعاملة السوية، أما النهي عن المنكر: فكلمة نهي هي الإنهاء، والصدِّ بالحُسنى عن كلِّ ما هو منكر أي ينكره العقل والأخلاق، وما كان حرامًا بيِّنًا في القرآن والسيرة النبوية، وأكرِّر هنا أنه مصطلحٌ عامٌ للمسلمين أجمعين بل للعالم، وفي كلِّ التعاليم السماوية، ولم أجد في خارطة العالم الإسلامي من شرقها لغربها وجنوبها وشمالها هيئةً أو جهةً حكوميةً هُيِّئَتْ للعمل في هذا المجال، بل تركتْ الحكومات الإسلامية قاطبةً هذه المسألة للتربية والوازع والثقافة الدينية، فكما قال الرسولُ الأميُّ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ» وليس لفرض الأخلاق: { **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** }[٢] وليس اقبض عليهم بالجُرم المشهود، والضرب المُبرح، والفضائح والحوادث المميتة.. أترككم هنا للحظات للتمعُّن في الكلمات وتأثيرها على

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٢
(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٥

الإنسان، فبكلمةٍ خلق الله الدنيا والأكوان، وقال لها: كُوني فكانت، ومع كلِّ هذه الأسباب والبيانات الإلهية والتوضيحات النبوية وكلمات القرآن الرحيمة والآيات البيِّنات، والتهديد بأشدِّ العقوبات الربَّانية، لازال البعض يمارس طقوس الإرهاب الديني ضاربين بعرض الحائط ما حصل في أفغانستان وحركة طالبان، غاضِّين النظر عن المؤثرات التي تهدِّد بأشدِّ العقوبات والنتائج الوخيمة، ماضين في طريقٍ مظلمٍ مع رجالٍ كثيرًا منهم لم يدرسوا الفقه الصحيح ولا السيرة النبوية بإمعانٍ، وتَدبُّر القرآن والسُّنَّةِ المحمدية، فنراهم صغار السن، يريدون - وبحُسن النية - أن يصححوا ما أفسده الإعلام الدولي والعولمة، وطريقة عشوائية لا تَنُمَّ عن حُسن درايةٍ ولا تنظيمٍ ولا حتى المعاملة الروية، فكلُّ ما يمشي على أرجلٍ من الإناث ويرتدي العباءة السوداء متهمٌ حتى ثبوت العكس، وكلُّ اختلاءٍ شرعيٍّ بين العلماء والدارسين وحتى في المؤتمرات فله عندهم معانٍ جنسيةٍ.. فهل بهذا التفكير سيستطيعون فرض الأخلاق والنية الحسنة والسوية؟ أفلا يعرفون أن الشرَّ والإغواء والخطيئة تتم في أروقة المَخَادِعِ وفي دهاليز البيوت السرية؟ فمَن يريد الفاحشة لن يفعلها في وضح النهار وفي المطاعم وعلى قارعة الطرقات، بل سينزوي وراء الجدران العالية والأسوار المبنية الشاهقة ولن يقدروا أن يصلوا إلى أوكار الخطيئة، ألم يعلموا أن الله إن لم تكن تراه فهو يراك؟ ألم نتعلم أن الإصلاح والهداية هي بيد ربِّ العالمين؟ ألم تكفنا قصص التاريخِ المَرويَّةِ عن رجالٍ ونساءٍ كانت حياتهم هي الغواية؟ ألم يقصص لنا القرآن قصصًا تهدينا إلى أنَّ الله يهدي مَن يشاء ويُضلُّ مَن يشاء وبيده الخير وهو على كلِّ شيءٍ قدير؟ أين نحن من هذه الكلمات الرائعة الخالدة؟ أم هي لمَن استطاع إليه سبيلاً!.

مَن الأجدر أن تتعلم هيئتنا أن الفساد يُحارَب من الداخل، وأن لديهم مهمةً أوسع وأشمل في الدوائر الرسمية من أجهزتنا الباطنية، إلَّا يساعدوا حكومتنا الرشيدة باستئصال الإهمال والسرقة ونهب الأموال العامة، وإرساء العدل، ومساعدة

القضاة وإصلاح ذات البين بدل أن يقضي البعض أوقاتهم في الجري ومطاردة النساء والرجال بطريقةٍ همجيةٍ لم يأمر بها الرحمن ولا الرسول ﷺ خير البرية؟ أين نحن من إسلامنا يا هيئتنا أين نحن من الوسطية والسُّنَنِ النبويةِ والفقهِ الرَّبَّاني، الذي أُرسِلَ به محمد بن عبد الله ﷺ وجعله قانونًا أبديًّا، ليحكم العالم بالأخلاق السوية، ولينظر لنا العالم بعين الاحترام والرغبة لدخول الإسلام، وليس العزوف عن كلِّ ما يتعلق بكلمة إسلامٍ نتيجة تصرف بعض ما يجري على الساحة من هيئتنا الدينية.

لذا أناشد الرئيس الأعلى للهيئة الدينية أن يُصلِح ما أفسد الدَّهرُ والإعلام المحلي والدولي عن وضعنا المأساوي نتيجة سياسة البعض ممَّن فهموا الإسلام والتطبيق بطريقةٍ عكسيةٍ فصاروا يمارسون أهواءهم ضاربين بعرض الحائط مبادئنا وصورتنا أمام العالم وكأننا لنا إسلامٌ غير، وفوق المسألة بتطبيق العدالة والمحاكمة فهم يختالون وبجرأةٍ أمام حتى الأجهزة العسكرية إلى حدٍّ لم نعد نعرف مَن بيده بسط العدالة في مجتمعنا الذي أصبح ما بين البين، المتشددة والمنحلة، فلا وسطية ولا اعتدال وهذه نتيجة معروفة وحتمية لوضعنا ذي الوجهين والرؤية غير السوية.

■ **همسة الأسبوع:**

{ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }(١)

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ }(٢)

---

(١) سورة النحل ، الآية ٩٠
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩

حديثُ الساعة

الجمعة ٧ مايو ٢٠١٠

{ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا }[١]. صدق الله العظيم

فقصةُ الاختلاطِ في المجتمع السعودي - وأقول المجتمع السعودي وليس المسلم - هو موضوع جدل وإثارة منذ عقودٍ قريبةٍ وليست بعيدة، فمنذ ما يقارب الأربعين عامًا لم يكن أبدًا هذا الحديث له أهمية؛ لأنه كان من الطبيعي أن تكون المرأة في الحقل بجانب الرجل، وأن يلعب الأطفال مع بعضهم البعض بدون الشعورِ بالذنب، أو حتى تفكيرهم بأن يوجد طرفٌ آخرٌ؛ لأنه ببساطة لم يُزرَع في عقولهم منذ الصغر الفرق بين الرجل والمرأة، وإن اجتمعوا كان ثالثهم الشيطان. ألم يعلموا في ذلك الوقت أن الشيطان يسري في الإنسان بمجرى الدم في جسم ابن آدم، أم كانوا مُحصَّنين بالوازع الديني والتربية السليمة البعيدة عن التهديدِ والوعيدِ والتَستُّر وراء الجدران العالية التي لم تكن موجودة بين الجيران، والوسطية في الحياة، فلا اختلاطٍ مُحرَّمٍ بين امرأةٍ ورجلٍ نيتهما الفجور، ولا منعٍ من اختلاط العوائل والرجال والنساء أثناء العمل والدراسة، فكنا نرى الصبيان في أروقة الشوارع الضيقة، ولكنها كبيرة في قلوب ساكنيها ومرتاديها والبنات من ورائهم يدرسون جميعًا القرآن والبيان، ويسمعون بانبهارٍ القصص النبوية والسيرة المحمدية بكلِّ حُبٍّ للمعرفة، متخذين من هذه الساعات فرصةً للعب البريء بعيدًا عن أعين الأهل، والمربِّين الفاضلين الذين زرعوا معاني الحلال والحرام بكلِّ احترامٍ للذات بين طيات هذه القلوب الصغيرة لتصبح فيما بعد معاهد ومدارس يَتخرَّج منها أجيال الوسطية والتفاني في العمل ووضوح الرؤية، والحياة الطيبة بدون تهديدٍ بالنار وعواقب مَن يتكلم مع ابنة خاله أو عمته من غير رقيبٍ ولا تهديدٍ ولا وعيدٍ.

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٣

هل كان الرعيل الأول من جنسٍ غير جنسنا، أم هي عقولنا وفهمنا للحرام والحلال والاختلاط المصطلح الجديد الذي يُحارِب به بعض المشايخ الأفاضل الذين تجرأوا أن يقولوا لا "لا يوجد" هذا المصطلح أصلاً في الإسلام للعقول المتحجرة التي ترى بعينٍ واحدةٍ، وتسمع بأذنٍ واحدةٍ، وترفض الحوارَ والنقاشَ والوسطيةَ؛ فكلُّ العالم الإسلامي ومشايخه على خطأٍ ونحن مع بعض مشايخنا على حقٍّ، فلماذا نرى أنفسنا دائمًا فوق المحاسبة؟ وأننا الوحيدون الذين نملك مفاتيح الجِنان ومفاتيح أبواب جهنم، نزجُّ مَن نريد في جهنم وبئس المصير، ونُدخِل الجنةَ مَن نريد بدون حسابٍ؟... أَشَيْخُ الأزهرِ ومشايخنا الذين تجرَّأوا وقالوا الحق، ومُفتو البلاد من الشرقِ إلى الغربِ على خطأٍ، ومُجمَّعات الفقه الإسلامي على عدم بيِّنةٍ.

وفي مجتمعنا الذي تَربَّى على النظر إلى المرأةِ كعورةٍ وكغوايةٍ، وكأداةٍ يُلعَب بها على أوتار قيثارة الدِّين المُحرَّمة، فأين لشبابنا أن ينضجوا إنْ طُبِخُوا على نارِ التطرُّفِ الهادئةِ والفهمِ الخاطئ للدِّين؟ فيصبحوا ليِّنين ومُجهَّزِين للأكلِ من قِبَل الأطراف الدينية المتطرفة التي بِتْنَا نعرفها كلنا، ومصادرها وأهدافها، وبكلِّ وضوحٍ لتُنتِج شرخًا عميقًا بين كلِّ شرائحِ المجتمع، ليصبح بعضٌ منهم تحت تأثيرِ المخدرات، والبعض المُسْكِرَات، والبعض - وهم الأشد ضراوة وخطورة - المتطرفين دينيًّا؛ لأنهم يُحلِّون ما حرَّم الله وهي دماء المسلمين.

على ماذا نحن هائجون مائجون كأمواج البحارِ والمحيطات الأطلسية؟ على ماذا أَشْغَلنا أنفسنا وضمائرنا ودراساتنا وهجومنا؟ إلى متى سننجرف تحت مسمَّى الدِّين إلى هاويةِ التطرُّفِ والجهلِ وعصور الجاهلية ونسمِّيها بالعصور الإسلامية الذهبية؟ إلى متى سنظل أسرى أهواء البعض ليقذفوا بمجتمعنا الذي كان بالأمس يتصف بالوسطيةِ والاعتدالِ والمنهجيةِ الإسلاميةِ؟

فبعد أحداث سبتمبر وأحداث أسامة بن لادن والقاعدة، أصبح البعض مِنَّا أداةً تهتزُ ذات اليمينِ وذات الشمالِ على حسب مزاج القاعدة ومسئوليها، وتبعًا للكاتبين عبر الشبكة العنكبوتية والشبكة التلفزيونية والمعارضة الخارجية مثل الفقيه وأمثاله، ألم

نتعلم بعد الدرسِ؟ إننا كسعوديين كنا محترمين من الناس أجمعين، وكانت دول العالم قاطبةً ترحب بنا بدون شروطٍ ولا استنفارٍ ولا تدقيقٍ، وبعد أحداث المحارب! الشجاع! المِقدَام! أسامة بن لادن! وصاحبه المعارض الفقيه أصبحنا أناسًا غير مرغوب فيهم، ومراقَبين في كلِّ مكانٍ ولا تُعطَى لنا التأشيرة، ولا ندخل أيَّ بلدٍ إلَّا بعد شقِّ الأنفس لماذا؟ لأن البعض تَطوَّع ليخدم مصالح بن لادن وغيره من تشددٍ وانغلاقٍ وما لها من أهدافٍ سياسيةٍ لخرق نظامنا واستقرارنا وأمننا؛ لأنهم وبكلِّ بساطةٍ لم يقدروا علينا من قبل، فنشروا الفساد واستشرى التَطرُّفُ والأفكار المتشددة، لتُوجَّه أسهمها للداخل وتُحدِثُ انشقاقًا بين أبناء وبنات الوطن من غير حروبٍ ولا معدات؛ لأنهم أيقنوا أن المتفجرات لن تُغيِّر المجتمع بل ستقلبهم ضدهم، فرأيناهم في الإعلام ينشرون الأفكارَ الخاطئةَ والفئات المتطرفةَ تندسُّ في مجتمعنا داخل الهيئة الدينية، وهي الطريقة الوحيدة والأمثل للحصول على النتيجةِ النهائيةِ، وهي تدمير المجتمع السعودي من الداخل وتسليطنا على بعضنا البعض، وهذا ما نراه للأسف في حياتنا اليومية، ونسوا { **وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** }(١).

■ **همسة الأسبوع:**

إنْ كان هلال الإسلام في أيدينا، فماذا نرى في النجوم؟ اقبضوا على نعمة الإسلام والأمن في بلادنا قبل فوات الأوان.

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٦١

ما لم يكن في "الحسبة"

الجمعة ١٤ مايو ٢٠١٠

قد كتبتُ كثيرًا، وحلَّلتُ كثيرًا، ولكنِّي لم أكن أتوقع أن مقالي عن الهيئة سيتسبب في هذه الضجة الإعلامية، سواءً على الشبكة العنكبوتية، أو الهاتفية، أو عبر المقابلات الشخصية، والصالونات الاجتماعية.

فقد كتبتُ من قبل عن هيئتنا الدينية في مقالي المتواضع: «صرخة رجل مع وافر تحياته» في تاريخ ٩ / ٢٠٠٩/١١، وقد ساندتُ هيئتنا مع بعض الآراءِ المتواضعةِ ومن وجهة نظري وبحقِّ المواطنة، ولم أتلقَ أيَّ ردٍّ لا من الهيئة ولا من القُرَّاء الأفاضل ولا من المنتديات المتعددة التوجهات... وما إن كتبتُ عن حالة الهيئة في هذه الأيام وعقب الحوادث الخطيرة في حقبة هيئتنا الدينية مع توصياتي كمواطنة وكمسلمة تنظر إلى أرض الواقع وتُبدِي برأيها، إلَّا وقد قُوبِلَتْ بهجومٍ مُستميتٍ من البعض الذين استكثروا عليَّ كأميرة وليس ككاتبة وبموضوعيةٍ؛ أن أكتب عن موضوعٍ المفروض أن يكون من المحظورات بما أنني أنتمي إلى المؤسسة، ولم يفكروا ولو للحظة أن حكومتنا الرشيدة الداعمة دائمًا لهيئتنا ومنذ تأسيسها على عهد والدنا الملك سعود - يرحمه الله - كانت ولاتزال السِمة والبصمة الناصعة في مجتمعنا، ولكن هذا لا يعني التغاضي عن أخطائها الخطيرة في الآونةِ الأخيرةِ، وتوجهاتها المتطرفة في بعض الأحيانِ من بعض منسوبيها وعدم توجيه النصح والرأي الآخر وسماع وجهة نظر كثيرٍ من المواطنين الذين ساندوني سواءً عبر الشبكة العنكبوتية، وعبر جهازي المحمول، والإصغاء والتعلُّم من الأخطاء وقراءة التاريخ جيدًا كرجال حسبة كما سَمَّاهم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين والصحابي الجليل ﷺ، ولكن وهنا أقول لكن أين نحن من فهم هذا المصطلح؟ أين هيئتنا الآن

من الهيئة التي أُسِّسَتْ في عهد الملك سعود - يرحمه الله -؟ فمعظمهم يتعاملون من غير سماحةٍ، ولا رحمةٍ، ولا إصغاءٍ، ولا تصحيحٍ، ولا دراسةٍ وافيةٍ للأحوال الاجتماعية التي يَمرُّ بها مجتمعنا على شتَّى أطيافه وطبقاته؛ فالأمور يجب أن تُؤخَذَّ بالروية، ودراسات عميقة من قِبَل متخصصين في الأمور الاجتماعية عبر جامعاتنا الدينية، وتخصيص شهادة جامعية لتخصصٍ جديدٍ، وهو كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظلِّ العولمة وتأثيرها على المجتمعِ السعودي؛ لتخريج شباب وشابات قادرين على أن يُصلِحوا ويؤثروا بشكلٍ إيجابيٍّ على المجتمع من خلال دورٍ أساسيٍّ لنهجٍ جديدٍ للهيئة نستطيع خلاله أن نبدأ صفحةً جديدةً من عصر الوسطية الذي عرفنا به عبر الأجيال والقرون، منذ بعثة الرسول الأمي محمد بن عبدالله ﷺ الذي استطاع بأميته وأخلاقه وتسامحه وحواره أن يستولي على قلوب الكُفَّار والقبائل الوثنية ويُطوِّعها لتدخل الإسلام بكلِّ حريةٍ وليس بالغصبِ والإجبارِ، بل من رحمة الإسلام فرض الجزية على الكفار وأصحاب الديانات الأخرى وليس قتلهم، وإلغائهم من خارطةِ العالم؛ لأنه وبكلِّ بساطةٍ لم يُؤمَر بذلك من ربِّ العالمين، كما لم يُؤمَر بها الرسل على مر العصور، ومنذ ابتداء الخَلْقِ ووصية الرحمن إلى يوم القارعة والبعث والحساب، فالله سبحانه وتعالى هو الحسيب، ولم يُنصِّب على الأرض خلفاء «حاشا وكلا» يحاسبون الناس على ما تُكِنُّ سرائرهم وحيتان ضمائرهم، بل تركها الله سبحانه وتعالى له لا شريك له في المحاسبة والقضاء والعدل؛ لأنه هو وليس غيره صاحب هذا الحق... وهنا أقول وبرأيي أن العدالة والحق العام والقضاء يجب أن تكون بيدِ سُلطة واحدة، وأن تكون الهيئة ضمن سلسلة متكاملة تحت لواء هذه السُّلطة في الأجهزة الحكومية، وهذا اقتراح وليس بفرض، ولا أملك سوى قلمي كمواطنة تحب وطنها ورجالاته، وتخلص لله، ثم لمليكها ولتراب أرضها، وتعتز بتاريخٍ حافلٍ من البطولات الإسلامية، وتفخر بأنها تنتمي للمؤسسةِ الأبيَّةِ، وبانتمائها لأول ملك بعد المؤسس القدوة لنا الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الذي أسَّس لَبِنَة الوطن

من دينٍ ودنيا، وأكملها من بعده والدنا - يرحمه الله - الملك سعود بن عبد العزيز، وتلاه أبناء عبد العزيز ليعزِّزوا القرار، ويُرسِّخوا جذور النصيحة في الإسلام بتأسيس نظام الهيئة، وقد كان في حسبانه - الملك سعود - وتوقعاته أن تكون ميزانًا للمجتمع، وسمتها التسامح والرحمة والنصيحة والموعظة الحسنة، وأظن أنه لم يتصوَّر يومًا ما أن الهيئة ستكون موضع نُصحٍ من ابنته التي تَربَّتْ ونشأتْ على قول الحقِّ وإن عَزَّ، وأن لا تخاف لومةَ لائمٍ في إبداء وجهة نظر فقط لا غير، لتضيف ولو بكلمةٍ وجهة نظر كثير من مشايخنا الأفاضل ومثقفينا ومواطنينا الذين يُنعَتون بالعولمة كأنهم حاملون وباء، والعلماء والطبقات العارفين ببواطن الأمور تحت مُسمَّى المنفتحين.

آنَ لنا أن نخلع المسمَّيات بشتَّى ألوانها، ونرى الإنسان من ورائها لتسطع شمس الحقيقةِ والحريةِ التي عَلَّمنا إيَّاها رسول الأمة الإسلامية ﷺ، ألم نكن عبيدًا وتحرَّرنا من رِقِّ العبودية، فلماذا نُعيدُ تاريخ العصور الجاهلية، ونُحيط أعناقنا من جديدٍ بحبال العبوديةِ تحت مسمَّيات دينيةٍ وغطاء لا يعلم إلَّا الله مدى تَعمُّقه في بطون الجبال والأودية المذهبية.

آنِ لنا أن نرى الآخر، ونسمع الآخر، ونتقبَّل الآخر، بدون هجمات متطرفة تشفي غليل الأعداء، وتُنمِّي روحَ التَطرُّفِ في أجيالنا، ولنكن خير أمةٍ أُخرِجَتْ للناس بحقٍّ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولنربِّي أبنائنا على الوسطية والتربية السليمة الإسلامية الخالية من التَطرُّف كما نراه الآن في بعض شرائح مجتمعنا، فلا نقبل الآخر، ولا نرى إلَّا الظلام والنيران، ونسينا الجنان والشمس المضيئة في تاريخنا، وقرآننا، وسيرة نبينا ﷺ .

■ **همسة الأسبوع:**

عن عمر بن الخطاب ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا.

هموم وطن ونقطة تَحوُّل

الجمعة ٢١ مايو ٢٠١٠

وطننا وطنٌ حديثٌ يئنُّ بهمومٍ لا يستشفَّها إلَّا ذو حظٍّ عظيمٍ، فكيف نتناغم مع الوجود الإلهي ونحن نصارع التحديث، ونتنفس العولمة ونرى أمامنا نقطة تحوُّل في المفاهيم وحتى في نظرتنا للدِّين.، من ارتفاعٍ للمعيشة بشكلٍ فجائيٍّ إلى أمراض مستعصية وزلازل، قضايا شائكة اجتماعية، اقتصادية، تركيبية عنكبوتية ينسجها مجتمعٌ يأبى التخلِّي عن القَبَلية. نرى الإنسان يتحوَّل وبشكلٍ مفاجئٍ كما رأينا في برنامج الإعلامي سعود الدوسري "نقطة تحول" شيخين مُوقَّرَين في أعلى المناصب في أُبَّهةٍ جديدةٍ، ومفاهيمٍ جديدةٍ، ونقطة تَحوُّل جذرية في المفهوم الدنيوي والديني، ولا أعني هنا النقطة التي ناقشها الأخ سعود في تحوُّلهما من معارِضَين إلى مؤيدين، بل بالمفهوم العام لرجالات الدِّين كما تعوَّدنا عليه في كتب السلف وما فيها من توصيات عن تَقشُّف رجالاتها، ووصية الخلفاء الراشدين والصحابة - رضوان الله عليهم جميعًا - بأنَّ من شروط الرجالات الذين يتولون مناصب حكومية أو مدنية بأن ينأوا بأنفسهم عن الدنيا وزينتها ومغرياتها؛ فإننا الآن أمام نهجٍ جديدٍ من تركيبةٍ اجتماعيةٍ ودينيةٍ، فالكل أصبح له لونًا آخرًا عمَّا عهدناه، والجميع يبحث عن دورٍ يلعبه ضمن هذه التركيبة الجديدة.

رائحةُ العودِ الوطنيةِ أصبحتْ مستوردةً، سيوفنا أصبحت صينية الصنع، أمَّا بشوتنا وغترنا فأصبحت إيطاليةً أو فرنسيةً، وبأفضل الاحتمالات بحرينية التطريزِ، محلياتنا أصبحت نادرةً، طعامنا أصبح مُلوَّثًا بشتَّى أنواع المبيدات، هواؤنا نستنشقه بصعوبةٍ وكأننا أصبحنا ندفع ثمنه. ولنا عِبرةٌ في الاقتصاد العالمي بدءً من أمريكا، ووصولاً إلى الاقتصاد الأوروبي المُنهَار حاليًّا، مفاهيمنا

الاقتصادية هي عبارة عن استيراد ومنع للتصدير، صناعتنا نادرة، أهواؤنا غالبة، مشغولون بالمناصب والمذاهب، وبالأضواء والمُسمَّيات الرنَّانة، نتكالب ونتسابق على الارتقاء من دون استحقاقٍ ولا تعبٍ ولا نصبٍ.

"نقطة تَحوُّل إيجابية" ورائها جنديٌّ مجهولٌ يعملُ من وراء الستار لقلب المفاهيم والأولويات والجذور بكلِّ حنكةٍ وبصيرةٍ للوصول إلى المأمول، فهل الجندي هو الزمن القدر المحتوم؟ أم عالم أصبح يناطح السحاب ويرقى بالأسباب، ويتفانى في العطاء، ونحن نَجرُّ أقدامنا للعبور؟ متى نعبر الخطوط، ونستقبل العصر الجديد بنقطة ابتداء من عصورٍ عفا عليها الزمن، ونعبر تاريخ أمجادنا الجغرافية التي ننتظرها كأمةٍ تُحوَّل من الجذور؟

ليبدأ كلُّ إنسانٍ بنفسه ليغيِّر مفاهيمه ويواكب التطورَ المذهلَ في شتَّى مجالات الحياة، ولنأخذ بيد الآخر ونعبر الخطوط، فنحن كأمةٍ وضعنا المحظور ولم نفهم أننا في عصرٍ لابد فيه من تغييرٍ جذريٍّ للمفاهيم حتى نقدر أن نعيش ونثمر في زمنٍ طغى عليه التسابق لبلوغ أعلى الهرم مهما كان الثمن والفدية، تركيبتنا السفلية والعلوية جامدة، بنيتنا التحتية هشة، قوانيننا جائرة في زمن التطور، والتسابق الاقتصادي والسياسي لبلوغ مواقع الريادة، قراراتنا تنتظر التفعيل، أجهزتنا مرهونة بالأسماء وليس بالقوانين، ننتظر الجندي المجهول الذي بدأ تطوير المفاهيم والقوانين من تحت الستارِ، ومن خلف الضباب بأن يجعل من تطلعاتنا وآمالنا واقعًا ملموسًا، ونقطة عبورٍ إلى عالمٍ يواكب أجيالنا وآمالنا بأننا نستطيع وضع الحلول وتفعيلها ليصبح كلُّ مواطنٍ فخورًا بأنه ينتمي إلى أشرف بقعةٍ مُطهَّرةٍ وقيادةٍ رشيدةٍ، وأنظمةٍ ثابتةٍ، وقوانينٍ حاميةٍ، واقتصادٍ قويٍّ، وفكرٍ متسامحٍ؛ لتكتمل الصورة ونعيش واقعًا وليس حلمًا صعب المنال والوصول.

■ **همسة الأسبوع:**

همومنا لها حلول، ونقطة التحوُّل هي العبور، وأبناء وطننا هُم الثروة والجذور.

ناقصات عقلٍ ودينٍ

الجمعة ٢٨ مايو ٢٠١٠

من بين المئات من الرسائل التي وردتني عبر بريدي الإلكتروني عقب حواري في جريدة المدينة، استرعى انتباهي رسالة أُرْسِلَتْ إليَّ من أكثر من قارئٍ وأكثر من عشرين موقعًا، الرسالة مُوقَّعةً من ثلاثة نساء فاضلات وعلى الأرجح أنهم عنوانٌ وهميٌّ لرجالٍ أو رجلٍ واحدٍ؛ لأن اللغة المستخدمة ذكورية بحتة وهذا ما استشفيته بحُكم دراستي لعلم النفس، فحواها إنني يجب أن أتذكر دائمًا أن المرأة ناقصة «عقل ودين» وبالتالي لا يحقَّ لها أن تُبدِي أو يُؤخَذ لها رأيٌّ!.

وهنا رأيتُ أنَّ من واجبي كمسلمة وقارئة أن أرجع إلى معنى الحديث الشريف من غير اقتطاعٍ واختصارٍ للمعنى بالنص، مع آيات قرآنيةٍ وحُججٍ مؤكدةٍ واقعيةٍ تاريخيةٍ للسيرة النبوية، ولضيق المساحة لن أتطرقَ إلى المرأة القائدة عبر التاريخ؛ لأنه حديثٌ يطول والأمثلة أكثر من أن تُعدَّ أو تُحصَى، ولكن ما يهمني هنا رواية بعضٍ من قصص النساء في حياة الرسول ﷺ وتأثيرها في مساره وفيما بعد بالتعاليم الإسلامية التي يُعتَّدُ بها وتُدرَّس في الفقه والحديث كمرجعٍ مُتفقٌ عليه، ولكن أولاً سأذكر نص الحديث كاملاً لإبراز المعنى الحقيقي، ومن ثَمَّ سأطرح أسئلةً بديهيةً لكلِّ عقلٍ سليمٍ:

- «يا معشر النساء! تَصدَّقنَ وأَكْثِرْنَ الاستغفار؛ فإني رأيتكنَّ أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة - ومعناها ذكية -: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال: تُكثِرن اللعن وتَكفُرن العشير، وما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أغلب لذي لُبٍّ منكنَّ، قالت: يا رسول الله! وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين». وهذا الحديث يُنسَب في روايته إلى عبدالله

بن عمر والمحدث مسلم – المصدر المسند الصحيح، خلاصة الدرجة: صحيح، وهو مَرويٌّ أيضًا في البخاري، وهناك قاعدة لأهل الكلامِ تقول: قال العلماء إذا صَحَّ الحديث وجب التصديق به والأخذ به أولاً، ثم محاولة فهمه ثانيًا: الشرح اللغوي والفهم الديني، أما مناسبة الحديث فهو يوم عيد فطر أو أضحى، وقد مَرَّ الرسول ﷺ ببعض النسوة ممَّن اشتكى منهن أزواجهن فقال ممازحًا، وقد كان خطابًا موجَّهًا لَهنَّ.

وباستقراء مناهج الخطاب النبوي وتَدبُّرها في العموم نجدها تدلنا بوضوحٍ على أن النبي كان يعمم الكلام في معرض توجيهه للخاص عند العظة والجزر؛ فكثيرًا ما يَرِدُ الحديث النبوي بصيغة «ما بال أقوام» من غير تحديدٍ رغم وجودهم المادي أمام النبي كما تؤكد كثيرٌ من الروايات، فهذا هو النص كاملاً غير منقوصٍ لا كما يُنقَل ويُفسَّر ويُفهَم من العامة والخاصة؛ فإن المعنى العام كما فهمته وكما قرأتُ لكثيرٍ من الأئمة والعلماء في شتَّى الأطيافِ المذهبيةِ أنَّ النقص في هذا الحديث لا يَمُتُّ بِصِلةٍ إلى المفهوم المُهين للمرأة من الرسول ﷺ الذي من ضمن رسالته تشريف المرأة وتكريمها؛ لأن التكليف في الإسلام عام للإناث والذكور كما العقاب والثناء، وكما جاء في الآية الكريمة : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**}[1].

أين القاسم المشترك في الحديث والآية؟ ألم يقل الله إن ما جاء على لسان النبي إنما هو وحيٌ يُوحَى؟ فالعاقل مِنَّا والعالِم يُدركُ أنه لا يوجد تعارضٌ بين الاثنين، إنما النقص هو في الفهم العام والتفسير، فإن كانت المرأة ناقصة عقلٍ ودينٍ فكيف تُحاسَب كما يُحاسَب الرجل؟ وأين التناقض؟ لا يوجد! إلَّا لمَن يريد أن يُضلَّ المسلمين ويُهين المرأة، فالنقص هو في الفهم العملي واللغوي لهذا الحديث.

ففي سورة البقرة آية ٢٨٢ تفسير للشقِّ الأولِ فقد أخبرنا الله تعالى العلة من المرأتين هي بأن تضل إحداهما بمعنى تنسى، فتُذكِّرها الأخرى وهذا هو نقص العقل، أما نقصان الدين فكلنا يعرف أنها في سياق معنى الإحاضة بأنها تفطر ولا

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٣

تصوم ولا تصلي؛ لأن النقصان في الذاكرة والإعياء هو نتيجة للعملية الهرمونية التي تمر بها المرأة نتيجة مستوى الأستروجين الذي يرتفع فيؤثر على الذاكرة والحالة النفسية... فبهذا نرى أن للحديث معنىً ومغزىً آخرًا مُشرِّفًا ومُكرِّمًا وعلميًّا مُوضحًا لطبيعة المرأة لقومٍ وحقبةٍ كان يجهلون فيها العلوم الطبيعية الإلهية التي خُصَّت بها المرأة، فجاء الإسلام والقرآن على لسان خير الأنام ليُكرِّم المرأة ويرفع عنها الظلم والعدوان وليس العكس.

وفي سيرة خديجة الكبرى لنا أسوة: فكيف تكون ناقصة عقلٍ ودينٍ وهي مَن نصرتْ وثبتتْ وصدَّقتْ النبي زوجها في كلِّ مراحل الوحي، وكانت أول مَن أسلم وصَلَّى؟.. أين الوصية النبوية من راوية أحاديثه وتفاسيره للقرآن زوجته سيدتنا عائشة، وباستئثارها من بُدِّ الصحابة الرجال للرواية، فكيف يوصِّي بهذا الأمر وهي «ناقصة عقل ودين»؟ ولنا حكمة وبُعد نظرٍ في ابنته الزهراء موعظة تاريخية وذات دلالة عندما آثرتْ عدم الخلاف مع الخليفتين - رضي الله عنهما - أبو بكر وعمر في قصة إرثها.

آنَ لنا يا معشر المسلمين قاطبةً أن نفهم ونأخذ ديننا بجديةٍ وتَعمُّقٍ وتَدبُّرٍ، وأن لا نُحرِّف الكلام عن مواضعه بهدف إرضاء أهواء البعض مِنَّا، وأن نترك ما لا ينطق عن الهوى، ونزرع في العقول الفهم للأسلوب النبوي؛ فهي غسول للقلوب والمفاهيم والتقاليد الموروثة من عصر الجاهلية، ونتمسك بأصولنا الدينية الإسلامية، فتدبروا واقرؤوا أيتها الأمة المحمدية؛ فالعنف الديني في التفاسير هو أشد وقعًا وتأثيرًا من كلِّ أشكال العنفِ الأسري والاجتماعي، فإنما هي حصيلة العنف الديني لأنه يغيِّر المفاهيم العامة التي وَصَّى بها الرحمن ومن ثَمَّ النبي كأسلوب تعامل للمرأة خاصةً وللمجتمع عامةً التي كَرَّمتْ وغَيَّرتْ المفاهيم بالرسالة الأبدية لكلِّ العالمين.

■ **همسة الأسبوع:**

(نصف الحقيقة عادةً ما تكون كذبة كبيرةً) -فرانكلين روزفلت الرئيس الأمريكي ١٩٣٣-

أسدُ الجزيرةِ العربيةِ

الجمعة ٤ يونيو ٢٠١٠

الأُسُودُ لا ترتع في صحرائنا العربية، ولا يوجد إلَّا صقورٍ تطير بأجنحتها فوق أرضنا الأبيِّة منبع الرسالة المحمدية، فَطَارَ شبل صقر الجزيرة العربية، ونظر نظرةً ثاقبةً للأحوال الطبيعية، فاختار النزول إلى الأرض، والتَحوُّل من صقرٍ إلى أسدٍ يندر وجوده في منطقتنا الصحراوية، بل لا وجود له في بيئتنا الطبيعية، مشى في طريقٍ رُسِمَ له من قِبَل ربِّ البرية، كأسدٍ لم يوجد له مثيل في زمنٍ لا ينتصر فيه إلا الأُسُود، مليكنا أصبح أسد الجزيرة العربية - هكذا أسميته - يحمل صفات الشجعان والقلوب الصافية، صفات أسد في عالمٍ لا يخضع له إلَّا صوت زمجرةٍ عالميةٍ في غابة النصر فيها للقوي، فكيف بأسدٍ يحمل الرسالة الأبدية كشريعةٍ يحكم فيها فوعد الله حقًّا ليَنصرنَّ مَن جعل منهج الحياة وسطية، ليسير على خطى رسولنا المصطفى رسول السلام والإخاء محمد بن عبدالله الذي أُرسل رحمة للعالمين.

فالنصر حليفك إن شاء الله يا «عبد الله» فهذا اسمٌ على مسمى، شيمتك خصال أسد اختار الإقدام والتغيير في عالم تحكمه شريعة الغاب.

كلمات لا أجد لها مخرجًا، وحروف جمعتها، فلم أستطع أن أكوِّن لها جُمَلاً لِمَا في قلبي من حبٍّ وإعجابٍ لمليك خطَّ على صفحات تاريخ هذه الأمة طريقًا لم يسبقه له أحدٌ، فقد جمع من الخصال ما قلما تجتمع عند إنسانٍ ومَلِكٍ دخل قلوب شعبه الذي أصبح يتنفس هواء طيبته، وتنبض القلوب بذكره، وترتاح الأنفس لقيادته، مجموعة إنسان.. هذا هو مليكي جمع بين الطيبة والبساطة والحكمة وجعل القرآن دستوره والسيرة منهجه، يرى ببصيرة الصقور، فلا عجب وهو شبل

الجزيرة العربية صقر الصقور، حَسَبَه ونَسَبَه معروفٌ وذو جذورٍ، فقام بالحملِ وسطع نجمه في سماء النجوم، ولكن ضوءه غطَّى السماء بمعرفةٍ عجزتْ عنها الملوك، مَدَّ يده الطيبة بسماحةٍ قلما تجدها في عالم السياسة، وجعل من معاني الإسلام واقعًا ملموسًا يُقتدَى به ولم يجعله نَفورًا.

قائدٌ يحيِّي بتحيةٍ قوامها السلام عليكم، وهذه رسالة عالمية يُحتذَى بها على مرِّ العصور، أخلاقه وشيمه واضحةً للعِيَان، رحمته دمعةً تُذرَف من غير استحياءٍ بعفويةٍ تنساب على خدٍّ مضيءٍ بشعاع الحنان معلنةً عن قلبٍ رحيمٍ وخُلُقٍ عظيمٍ، ورجولةٍ يأبى أن يكتمها لتغيير مفاهيم موروثة عن معانٍ جُبِلَتْ عليها مفاهيم على مرِّ العصور بأن الرجل لا يذرف دمعة ولا يخضع لأحاسيس تنبع من القلوب الرحيمة، فرأيناه قدوة يا ليت أن يتبعها أجيال من الرجال، صقلت على الجبروت.

مليكي وقائدي: حبٌّ من الأعماق أرسله لإنسانٍ ملأ سماءنا آمالاً وبدايةً لعهد ينتصر فيه الحق على الفساد، والسماحة على الشدة والعدل على الظلم، أنوار تُنبِئُ بمستقبلٍ تعلو به كلمة الحق وتنجلي به الهموم، وجعلت أمرك شورى وخير مَن استشرتَ رجالاً ذو علمٍ وميثاقٍ وبَيعةٍ على العهد والوعد الذي أصبح واقعًا وليست كلمات ووعودًا معهودةً سيسطرها التاريخ بأن يومًا ما أسد اسمه «عبدالله» علامة أضاءت في سماء مملكتنا فجرًا عنوانه الإنسانية.

نبايعك يا أسد الجزيرة بالعهود والوعود، ونرفع أيادينا بقَسَمِ الولاء والإخلاص، فنحن جندك رافعو راية لا إله إلَّا الله.

نحن وطن، وما الأوطان إلَّا عرين يأوي إليه جنود قائدها مليك، جعل خدمة الحرمين عنوانًا لمَن يريد القراءة في شخصيةٍ قوامها الشجاعة والبسالة والعدالة، ورسالة سلامٍ وإسلامٍ كنهج؛ لذا سأسميه أسد السلام وخير مَن جَسَّد معاني الإسلام.

كلنا لك يا أبا متعب، سِرْ واكتب على صفحات تاريخنا عهدًا نادرًا كله تسامح وروائع ستشهد لك أقلام التاريخ سُخِّرَتْ لإنسانٍ وأسدٍ ولا كلّ الأُسُودِ، وسلطان الخير ولّي عهدك ونايف سيفك المسلول.

- **همسة الأسبوع :**

ابنة الوطن وأبو الخيرين سعود بن صقر الجزيرة تحييك يا أبا متعب أسد الإسلام والسلام والعروبة، ونهنئك بيوم بايعك وطن على السمع والطاعة والإخلاص.. يا من شيمته الطيبة والقوة والإقدام في زمنٍ ندرتْ فيه معاني التسامح والأخوة.

سر ونحن وراءك يا أسد السلام والشيمة والنخوة العربية.

قافلةُ السلامِ ومجزرة العدوان... ماذا بعد؟

السبت ٥ يونيو ٢٠١٠

مشهدٌ يتكررُ في كلِّ سنةٍ، تنديد في كلِّ مناسبةٍ، أصوات تعلو في كلِّ مجزرةٍ، اجتماع دولي طارئ بعد كلِّ اعتداءٍ، وماذا بعد؟

منظرٌ عالميٌّ رتيبٌ لا تنقاد إليه وتصدقه إلَّا العقول البسيطة، ألم نتعلم عبر السنين أن هذه لعبة دولية وخطط مدروسة تحت مظلة السياسة العالمية؟ إلَّا نفقه أن العالم لا يسير جزافًا، وأن المجازر الإسرائيلية لا تقع فجأة؟ ألم نتعلم من التاريخ الحديث أن التنديد لا ينفع، ولا الاعتراض، فمن أَمِنَ العقوبةَ أساء الأدب، ومَن أُعْطِيَ الضوءُ الأخضرُ لا يقف أبدًا؟

لماذا نَعْجَبُ من عدم تفعيل قرارات الأمم المتحدة للعقوبات على إسرائيل، والسياسات رُسِمَتْ منذ عهدٍ بعيدٍ؟ ألم نقرأ في ثنايا أروقة الأمم المتحدة وقراراتها أنها لا تنطبق إلَّا على الضعيف؟ ألم نفهم أن العروبة اسمٌ أصبح في طي النسيان؟ أطفالنا ونساؤنا ورجالنا يُذبَحُون، ولا من معين، أقوالنا شتَّى، وعناويننا مختلفة، ولكنها كلها تندرج تحت هويةٍ واحدةٍ وهي الاستسلام، كيف ننتظر من العالم أن يقف معنا ومع قضيتنا المشهورة التي أشغلنا بها عبر السنين، واستنزفت ما لدينا من تقديرٍ واحترامٍ لشعوبنا العربية، ونحن ناظرون بلا حولٍ ولا قوةٍ إلَّا كلمات وحروفٍ أبجديةٍ لم يعد لها وجود، ولا للغة الضاد من قوةٍ، وإذا كان الأشقاء رافضين الاتحاد والقوة، فكيف ننتظر من الآخرين النصرة على الأعداء؟ فالأعداء في الداخل أشد قوة من أعداء الخارج، متناحرين متشعبين، لا نصرٍ ولا تأييدٍ، ولن تعلو لنا كلمة ونحن أطياف أشباح بلا عزيمةٍ ولا قرارات توحيد، النبي الأمي وحَّد الأمة ونحن فرَّقنا أممنا بالمصالح الذاتية، فلم تعد لنا هوية إلَّا الاستسلام

وتصريحات وهمية، إن لم يتحد الإخوان في هذه الأوقات العصيبة في أرض الرسل والنبوة فكيف ستجتمع الكلمة الدولية وقلوبنا شتَّى، وأهدافنا ملونة كأطياف ألوان السماء؟ لماذا ننتظر دائمًا من الغرب أن يعطينا، ولا نأخذ حقوقنا بأيدينا؟ مصالح معروفة، وكراسي موضوعة للخلود وليس للقوة، فماذا ننتظر وشعوبنا مكلومة وليس بيدها القرار؟

التعداد السكاني للمسلمين قاطبة في العالم رقمٌ مذهلٌ، ومفعولٌ مخزٍ، فلا اتحاد ولا قوة، فلِمَ تعلو الأصوات ونحن نعرف النتيجة مسبقًا أننا في نهاية الأزمة والضجة الإعلامية لن نحصل على شيء كأمةٍ وقضيةٍ؛ فثورة الإعلام وهي أصبحت السلطة الأولى التي تنقل الآراء وتهجم على القضايا بكلِّ عنفوانٍ وعروبةٍ وفي الحصيلة الأخيرة تضمحل الأصوات، لتنقل إلى انكسارٍ آخرٍ من نوعٍ آخرٍ، وننسى كما العادة ما حصل، ونضع أقنعتنا التي نبدِّلها بحسب الأجواء والأهواء.

مجزرة السلام، ما هو الجديد؟ أم حسبنا أن التنديد سيعطي ثماره، فلا نخدع أنفسنا كالعادة، ستمر العاصفة وترجع الأمور إلى نصابها، وترجع الدائرة من تنافرٍ ومصالحٍ والقتال على السُّلطة وليس لنصرة قضية استُهلِكَتْ إعلاميًّا وسياسيًّا حتى أصبحتْ أخبار كل يومٍ نشربها ونمضغها في شكلٍ تلقائيٍّ، فلم تعد للدماء حُرمة ولا للإنسان قيمة إلَّا مشهدٍ دراميٍّ عبر وسائل الإعلام لتخدم مصلحةً معينةً بأننا فعلنا واستنكرنا، ولكن ليس باليد حيلة فتعوَّدي أيتها الأمة العربية، هذا إن لم تتعوَّدي بعد فأصبحنا مُبلَّدِي العواطف، عقولنا مبرمجة على الاستسلام والخنوع.

مآسي أمة تلعب بها سياسات دولية، وضعت وأجمعت عليها دول عظمى منذ سنين، فلماذا ننتظر دائمًا التغيير ونحن لم نغيِّر ما بأنفسنا من تنافسٍ على السُّلطة وليس على المصلحة؟

قلمي الجريح لن يكتب كلمةً تواسي الجرح العميق في جسد الأمة العربية؛ لأنه لم يعد جرحًا بل مأساة وسرطانًا استشرى في جسد أمة أُضْعِفَتْ بجبروتِ هذا

المرض الخطير الذي أَذلَّنا إلى حدِّ الانهزام وعدم القدرة على الدفاع، فجهازنا المناعي لم يعد له وجود في عالمٍ طغتْ عليه المصالح الشخصية عن قضايا أمتنا العربية، التي لم تعد بيدنا لمَن أراد القراءة بين السطور.

- **همسة الأسبوع:**

إن نهوض الأمة العربية والإسلامية ليس بتوحيد الكلمة بل بتوحيد النية، فقد تركنا انتصاراتنا منذ زمنٍ بعيدٍ على شواطئٍ مشى عليها طارق بن زياد، مَن هم أعداؤنا؟ فلننظر إلى أنفسنا وأعماقنا وسنعرف الجواب.

عهد إعلان الحرب على الفساد

الأربعاء ٩ يونيو ٢٠١٠

عهدٌ سَطَره مليكٌ ودشَّنه بحربٍ مُعلنَةٍ، وأسلحةٍ فتَّاكةٍ وأهدافٍ مدمرةٍ لكلِّ مَن تُسوِّل له نفسه بإفساد ما زرعه عبدالله خادم أشرف بقعتين وأقدس مكانين على وجه البسيطة.

فمنذ تولِّي الملك عبدالله بن عبد العزيز خامس ملوك المملكة العربية السعودية في ٢٦-٦-١٤٢٦هـ بداية حقبة جديدة، وحمل - حفظه الله - ملفًّا ضخمًا ومسئوليةً عظيمةً تجاه أهم قضايانا المحلية وهي الفساد الإداري والاقتصادي والاجتماعي، وبمعنى أشمل فساد القلوب والضمائر.

فبحكمةٍ ورثها مليكنا عن صقر الجزيرة العربية، وبصبرٍ وتخطيطٍ استمدهما من جذوره العربية، بدأ برويةٍ استقلاب الأتربة الكيميائية، ليحوِّلها إلى رمالٍ صافيةٍ، ويُصلِح نشاز النوتة الموسيقية ليجعلها انسيابية، وحوَّلها إلى سيمفونيةٍ وطنيةٍ، وابتدأ حربًا داخليةً على الفساد ومَن يتمثله "كائن من كان" لندخل حقبة جديدة عنوانها محاربة الفساد وإرساء لبنة وطن بهويةٍ جديدةٍ وحقوقٍ جليِّةٍ وأهدافٍ واضحةٍ للعيان وهي وطن عنوانه ذهبي وإطاره فضي وملمسه حديدي، فكما ألان الله لداود عليه السلام الحديد، فقد سخَّر عبدالله مليكنا لإلانة قلوبٍ حديديةS.

فكم من المشاكل أصبحت للعِيان واضحة؛ لأنه وعد أن يَحدَّ من فساد المؤسسات والعباد ليرقى بمملكتنا الحبيبة إلى مستويات عالمية مبدؤها الحقيقة والتساوي بتحمُّل المسئولية، ولكن خطته ينسجها برويةٍ بخيوط الصبر والحذر عوضًا عن الاستعجال في القرارات للتأكد مَن الفعل والفاعل والمفعول به، والآمر والمأمور.

لذا استكانتْ نفوسٌ كثيرةٌ شاخصةٌ أبصارها، محتسبة أفعالها ولكن حَذِرة من مستقبلٍ مجهول النتيجة، فقد أضاعهم مليكنا بلعبةٍ عربيةٍ اسمها الحنكة، والصبر لنيل المقاصد، فلا أمسكهم ولا حرَّرهم ولكن جعل في أعناقهم أساور خفية، لحين استيضاح الطريق والتأكد قبل صدور الوعد والوعيد، والمحاسبة في يومٍ ستنجلي فيه الغمامة والضباب وتظهر أسماء للعلن.

لن أردد ما رددده الكثير، ولن أحصي أفعال مليكنا كما أحصاها غيري، ولكن سأنتظر إعلان أعمال مليكنا لتُردِّد وتقول، لن أترك الفساد منتشرًا، ولن أترك للواسطة مأوى، بل سأجعل من عهدي حربًا دائمةً من غير استراحةٍ ولا هدنةٍ، وأكون من خير عبيد الله، وأكون واليًا ومسئولاً عن رعيته اختار سُنَّةَ نبيه ﷺ وكلمات إلهه ليحكم بها، وبها فقط سأنتصر على الطغيان والظلم والعدوان.

حربٌ على الفساد وحروب على الطاغين والطغيان، هكذا رسمتها شخصية مليكنا من غير إعلانٍ؛ فبنظرته الخفية وكلماته القليلة استطاع أسد الجزيرة كما سميته أن يزأر بوجه من أخلَّوا بالميزان، فنجدِّدُ عهد الولاء والإخلاص عنوانه الحرب على الفساد.

لا عجب

الجمعة ١١ يونيو ٢٠١٠

أرقامٌ مذهلةٌ وأخبارٌ عجيبةٌ، فقد فُتِحَ صندوقٌ لم أتصور في يومٍ من الأيام أن محتوياته ستكون مملوءةً بأوراقٍ مزوَّرةٍ، ليس فقط بالكمية ولكن أيضًا بنوعية ومستوي الشهادات المزورة، فلم يسلم منها مهنة حتى الأطباء الذين هم مسئولون عن حياة المواطن، فلا عجب أن لا تتقدم بلادنا تحت عبء رجال ونساء اشتروا العلم، واتخذوا النصب والاحتيال منهجًا، لا عجب أن مؤسساتنا تئنُّ بأوجاعٍ مهلكةٍ، وبنياننا يتحطم من خلال مهندسين هندسوا شهادات مزوَّرة وبنوا الجسور والطرقات والأبنية بدون درايةٍ ولا بنيةٍ تحتيةٍ، لا عجب أن شوارعنا تُحفَر كلَّ يومٍ، لا عجب أن مجارينا لا تصب في مصباتها، لا عجب أن السيول تغرقنا، والعجب كل العجب أنَّا لازلنا أحياء لا أموات.

جهازنا التعليمي مليئٌ بمعلمين ومعلمات يدرِّسون ما لم يدرسوا، ويفسِّرون ما لا يفهمون بشهادات مزوَّرة يعلِّمون، والنتيجة جيلٌ ضائعٌ بلا علمٍ ولا هويةٍ، لغته ركيكة، فهمة للمقررات سطحي، ودينه يأخذه عن عقليات لم تدرس أصلاً العلوم النبوية، ومن غير وازعٍ ولا رادعٍ، فشكَّلوا ديننا علي أهوائهم يبثون السموم في العقول الصغيرة؛ ليُحرِّفُوا الكلام عن مواضعه، فلا عجب من جيلٍ لم يعد يحترم ولا يفهم ولا يطبِّق تعاليم دينه السامية، ويخرج بشهادات لا تُسمِن ولا تُغنِي من جوع، أطباء ضمائرهم ميتة بلا حدود، يعالجون الناس بشهادات مزوَّرة ندخل أحياء ونخرج أمواتًا، وكله باسم الأخطاء الطبية، فلا رادع ولا محاسب ومستشفياتنا تمتلئ بالشهادات المزوَّرة لأطباءٍ المفروض أن يكونوا رحمةً وشفاءً، وليس موتًا وشقاءً.

فهل من محاسبٍ؟

مُدُننا تنهار بنيتها التحتية؛ لأنه بالأصل لا توجد في أرض الواقع ولكن موجودة في دفاتر البلدية، وصفحات الأمانة مُهندَسة ومكتوبة ومرسومة بتزويرٍ فني يُحسدَون عليه من قِبَل الفنانين، فلم يقصِّروا برسم المشاريع وتفاصيلها والتي لا تُطبَّق في الحقيقة؛ لأنهم بالأصل مهندسو الكلمة والهوية المزورة، ولا يملكون الخبرة لتفعيلها علي أرض الواقع فخبراتهم مزوَّرة، فلا عجب أن يتردَّى حال مدننا ونغرق في نقطة ماء، وتنهار على رؤوسنا جسورٌ وأبنيةٌ أيها المواطن وسِرْ في نصف الطريق والزم الرصيف، ولكن انتبه لربما تنهار الأرض تحت قدميك لتعلن نهايتك!

مشاريعٌ تُدَار من قِبَل مزوِّرين، فلا عجب أنها لا تنتهي أبدًا، تخطيط للمسارات، يتغير كلَّ يومٍ بعد أن تدفع المليارات، فنرى مشاريعنا الخمسية تصبح عشرينية، لا عجب أننا لن نرى النتيجة في حياتنا الحالية، فكما بني الفراعنة أهراماتهم لسنينٍ طويلةٍ، فنحن سنبكي علي عدم رؤية مشروع يسير حسب توقيته لنودِّع العالم ونورثها لأبنائنا، فلربما يروها بعد عمرٍ طويلٍ، والفرق هنا أن الاهرامات باقية للآن منذ الأف السنين، أما نحن فلن نراها قائمة ولو بعد شهور قليلة؛ لأنها ستزال ويخلفها مشروعٌ آخرٌ بدون تخطيطٍ فلا عجب أن تُهدَر الأموال، ويصبح في دائرة قانونها لعبة البداية ثم النهاية، ونحن لم نحقق ولا جزءً من الرواية.

كهرباء وماء ينقطع فلا عجب وشهادات القائمين عليها مفبركة لا تعرف المسالك، ولا حتى تركيب أبسط مقومات الخدمات الوطنية، فلا عجب ونحن نعاني في الليل والنهار من انقطاعات في أهم شرايين للحياة ولا مَن يسمع ولا مَن يبالي.

فلا عجب أن قرى نائية لا تَمُتُّ للعالم كما نعرفها بِصِلِةٍ، من غير أقل الاحتياجات الإنسانية، أين التخطيط أيها المسئولون عن أرواح عشرات الألوف؟ فلا عجب لأنهم نائمون في بحر العسل لِمَا يحملون من شهادات مسروقةٍ بسبق الترصد والإصرار مكتوبة. وفي النهاية أعداد لا تُحصَى ولا تُعَدَّ من المهن التي اكتشفنا

وبقدرة قادر فجائية أن شهاداتهم مزورة ومُشترَاة، أين الرقابة طوال هذه السنين أم كانت نائمة راضية مرضية؟

مليكنا أيقظ المؤسسات التنفيذية بهزَّةٍ مدويةٍ، وأرسل لهم رسالةً مخفيةً بأن الظالم والخائن سيُحاكَم ويُشهَّر إعلاميًّا، فانتبهوا أيها الحاملون المناصب من هزةٍ أرضيةٍ وبراكينٍ ناريةٍ ستقضي عليكم وتزيلكم وكأنكم لم تكونوا شيئًا، نحن بحاجةٍ إلى مراجعة القوانين التي عفا عليها الدهر الحامية لهذه الفئات وإصدار جهاز قضائي يحل ويقاضي بسرعة كلَّ هذه القضايا الجنائية. وقوانين حامية للمواطن للمطالبة بالأضرار والحقوق المدنية؛ حتى لا تظل حبيسة بين أروقة بعض القضاة الذين والله اعلم من أين حصلوا علي شهاداتهم أيضًا، ننتظر قوانين مُفعَّلة للقضاء علي هذه الموجة الفاسدة، وقنوات تشريعية تقاضي الداني والبعيد من غير تطويلٍ ولا تسويفٍ ولا تهميش وبسرعةٍ؛ حتى لا يهرب الجاني كما نرى الآن، ويتفشَّى الظلم والعدوان، وحتى خطوطنا لم تسلم فالله يستر في تحليقنا في الأجواء وتأخير مواعيدنا وإقلاعنا، فالأمر لم يعد يُطَاق، ضاربين بعرض الحائط تأفف المسافرين والأطفال والعجائز، فلا يوجد محاسب ولا جهاز قضائي تهابه خطوطنا الجوية، فأين المفر وأين المآب؟

بإلحاحنا وإصرارنا سنبلغ السحاب ليُسمَع صوتنا وهو صوت الحق، ويفرض مليكنا وولي عهده ونائبهما قوانين مُفعَّلَة كامتدادٍ للسياسة المُتَّبعة في هذا العهد الشفاف الواضح المعالم، المحارب للفساد بشتَّي أطيافه وألوانه مهما اختلفت الطرق فسيطوقها مليكنا بحلقةٍ واحدةٍ لن يستطيع أن يهرب منها أحد.

- **همسة الأسبوع**:

عجبي لكل خائن ألم يعرف أن الله مُطَّلع علي السرائر والضمائر، وأنه لابد من حسابٍ ولو بعد حينٍ لكلِّ جبارٍ عنيدٍ.

حملة التطهير أم التطفيش؟

الجمعة ١٨ يونيو ٢٠١٠

حملةٌ شنَّتها هيئتنا وجهاز الجوازات في الأسبوعَين الماضيَين على المطاعم والمقاهي في جدة، جعلتني أكتب وأتساءل ما ورائها ومَن ورائها؟ جدة بوابة الحرمين الشريفين أصبحتْ تئن من أوجاعٍ وضربات قاصمة للظهور والأرزاق، وتطفيش لرؤوس الأموال باسم تطهير الأخلاق، ورسالة القانون الذي لا يُطبَّق إلَّا عند الحملات؛ فجهاز الجوازات والعمل والعمال لا يقدر أن يظهر للعلانية بثوبٍ فضفاضٍ أبيضٍ إلَّا عند حلول ولاة الأمر في أرض الحجاز، وهيئتنا ما أن تنحسر عنها الأضواء إلَّا وتُبادِر بأفعالٍ يستحي منها ربُّ العباد.

المشهد العام سأرسمه بيدي وقلمي؛ لأعطي القُرَّاء نبذةً عن المواقف الدرامية والحروب الأهلية والنشاز الديني والحالة الاجتماعية من حملات من قِبَل جهازَين لقلب الموازين التي هي في الأصل رأسًا على عقبٍ.

دخول شيوخ أفاضل من المفروض أن يكون الوقار ردائهم وليِّن العريكةِ والرحمةِ والستر منهجهم، وأفراد يحملون اسم الحكومة والمؤسسة يهجمون بفظاظةٍ وعدم اعتبارٍ على مَن يؤم هذه الأمكنة التي من المفترض أن تكون عامة للناس أجمعين، يلتقون فيها للأكل والتمتع والاسترخاء والبعض منهم يطأون أرض المملكة لأول مرة كجزءٍ من السياحة الدينية، ليُفجَعوا بمنظرٍ غير حضاري ولا إسلامي للحملة العشوائية من قِبَل مؤسستين حكوميتين ويتهجمون على هذا ويعتقلون ذاك، وإن كان بريئًا مصطحبين معهم كاميرات للتصوير، وكأنهم أصبحوا مدربين على الحروب الإعلامية ليظهروا برداءٍ مجيدٍ، وصورةٍ برَّاقةٍ عنوانها الدِّين والقانون.

أُغلِقَت المطاعم والأسواق، وبات أصحابها يضربون الكف على الكف من قطع الأرزاق، وأصبح الناس خائفين مذعورين أن يتهموا بالباطل، ويُوصفوا بالفسوق والفجور وعظائم الأمور، وإخلال للقانون وأن يُشهَّر بهم ويدخلوا غياهب السجون، ليس؛ إلَّا لأنهم اختاروا العلانية في الظهور والمتعة البريئة خلاف للتستر خلف الأسوار والشقق المفروشة والأماكن التي لا تستطيع هيئتنا ولا جوازاتنا العبور إليها؛ لأنها موجودة في أنفاق البيوت ووراء أسوارٍ من الحياةِ الخفيةِ التي تُدَار من تحت الستار.

فأصبحنا في أعين زوار بيت الله الحرام فاسقين، وللقوانين معتدين آثمين، فلم تكفِ الأقوال، ولا الأوراق، لأصحاب هذه المنشآت، والرواد للتبرير، ولا إقناع المسئولين في هذه الحملات أن مَن يريد الفسوق والعصيان، والهروب من القوانين أن يظهر في العلانية وتحت أعين القانون، ويمارس أعماله بكلِّ شفافيةٍ، فما هو المقصود من هذه الحملات؟ هل نريد للعالم أن يرى ما نحن عليه من تصرفات لا عقلانية وخلاف للسيرة النبوية ومعاني القرآن الأبدية، التي ليس لها تبديل ولا تحريف، مهما حاول جاهدًا البعض منهم أن يجعل لها عناوين، وللتذكير في سورة النور آية ٢٣: { **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** }.

وفي الآية ١٥: {**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ** }.

وآية ٤٧ : { **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ** }.

واختمها بالآية ٦٠: {**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً** }.فبيَّن لنا الله أن لدينا الخيار بأن نأكل في بيوت الأصدقاء جميعًا أو أشتاتًا،

أوَ ليس لهذه الآية من تَدبُّرٍ في عقول أفراد الهيئة المكرمين، فالقصص التي لم أسمعها فقط بل شاهدتها خلافا للآية الكريمة، فأين المفر وأين النهاية؟ أم هي بلا حدود ولا دراية بآياتنا وسيرة نبينا.

معلماتنا هاجرن، كما التمريض والطبابة، فالهجرة جماعية، والنية غير السوية لرجال أضاعوا الأسباب والمصلحة الوطنية والمعاني الإلهية، فاقتصادنا لن يقدر أن يعتمد بالكلية على النفط لأبد الآبدين، ولابد من وجود قوانينٍ جديدةٍ لحقوق العاملين في هذا الوطن من عمالةٍ أجنبيةٍ لتحمي حقوقهم المَنسية، ورؤوس أموالنا الوطنية، فقوانين استُحدِثَت كيف؟ ولماذا؟ هذا الذي لا أملك له الإجابة، فالاستعارة في قوانين العمل والعمال الماضية كانت سارية وتعطي لكلِّ ذي حقٍّ حقه، وتعطي للمواطن حقوقه وللأجنبي وقاره واحترامه وإنسانيته، وحقبة في بلادنا تنبئ بالتقدم والازدهار ونشر السلام وإعطاء الحقوق، فهذه الحملة أصواتها نشاز، تشذ عن دورها ضمن الأنظومة التي وضعها مليكنا كخطط للرقي بأجهزتنا وتنوير هيئتنا لتلعب دورها ضمن الأنظومة وليس بعيدًا عن الوسطية التي أمرنا بها ربُّ العِزَّة والجلال وجعلها رسالتنا وهويتنا الإسلامية.

أمَّا جهاز الجوازات فكلنا يعرف مدى الإهمال الذي يعيشه بعض أفراده ولمَّا كنا رأينا المتسولين والنساء في الشوارع بأعدادٍ هائلةٍ من غير أوراقٍ رسميةٍ، وخادمات بعشرات الألوف تهرب عبر الحدود وبقدرة قادر تجوب البلاد عرضًا وطولاً وشرقًا وغربًا وتقيم لعشرات السنين من غير أوراق ثبوتية وغيرها من القصص لهذا الجهاز يعجز قلمي عن روايتها لكثرتها وتشعبها وامتدادها.

وفي الأخير هل تريد هيئتنا أن يلجأ الشباب إلى البيوت ليعم الفساد والفجور، أم نفسح لهم المجال لحياةٍ طبيعيةٍ من غير تضييقٍ ولا انحلاليةٍ؟ فالحلول الوسطية هي منهاج سيرتنا وهويتنا الوطنية، أم تريد وزارتنا العمالية أن تطهِّر البلاد من الأيادي الأجنبية بطريقةٍ مأساويةٍ؟ فليعطونا البديل من الأيادي الوطنية التي هاجرت بعيدًا عن الوطن لتأخذ حقوقها المدنية في أدنى الوظائف الدنيوية في بلاد

لا تختلف عنَّا في المنطقة ولكن واكبت التطور وأصدرت قوانين محفزة للأجنبي والمقيم والمواطن سواسية بدون تفريقٍ، أما هيئتنا السياحية فليس لها صوت ولا خطط، ولا أنظومة دولية لتحمي هذه المنشآت السياحية التي هي في البلاد الأخرى من أهم المرافق لأي دولةٍ تريد أن تصبح هدفًا للزيارة، خاصةً بعد فتح باب العمرة، فأي منظرٍ حضاريٍّ إسلاميٍّ سنقدمه للعالم ونحن نسير إلى الوراء، ولا نرى المستقبل إلَّا بأعين أُعْمَتْ؟ وقوانين لا تُطبَّق إلَّا بوجود المليك في هذه المنطقة أو تلك؟ وذلك خبر أكيد كيف سنرقى ونأخذ مكانتنا بين الأمم ويُسمَع نداؤنا بأننا خير مَن أُخرِج كأمة ونحن رايتنا التهديد والوعيد؟ وتناسينا فقه المعاملات والقوانين والتَّدبُّر القرآني، واتجهنا نحو طريقٍ مظلمٍ تديره عقولٌ ظالمةٌ، وضمائر غائبة، تهجر رؤوس أموالنا ورؤوس أساساتنا من البنية الإنسانية التي هي أساس كلَّ أمةٍ تحترم كلمة وتعرف معناها وهي الوطنية والهوية الإسلامية.

- **همسة الأسبوع:**

يعجز قلمي ولا ينطلق لساني.

أسد الجزيرة العربية وغابة العشرين

الجمعة ٢٥ يونيو ٢٠١٠

تَوجَّه خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - في رحلةٍ تَحفُّها المخاطر العالمية من تحديات إقليميةٍ ودوليةٍ، فرفع يديه ببكةٍ قبل بداية رحلته ليستطيع أن يؤدي الرسالة وأن يوفِّي الأمانة التي ائتمنه ربنا على هذه الأرض الطيبة المعطاء، التي خصَّها الله بمنابعٍ من الذهب الأسود فأصبحت من أكبر الدول المُعتَرف بها عالميًّا ولها ثقلها السياسي والاقتصادي والإقليمي والدولي لتصبح مثالاً يُحتَذى بين الأمم لحكمة مليك وأسد قدر بعون الله أن ينأى بها عن عواصف دمَّرت اقتصاد أكبر الدول وأشدها تسلطًا، فارتفع مركزها بين الأمم وأصبحت يُحسَب لها ألف حساب ووُضِعَت تجربة المملكة الاقتصادية من ضمن التجارب الدولية التي تدرَّس لتطبيق منهجها الذي هو شرع الله ورسالة الإسلام من شموليةٍ لكلِّ أحوال الإنسان والدول.

غابة يؤمها دول العشرين كلَّ سنةٍ ليقضوا فيها أوقات اللعب على الأمم، فسنة يقررون مساعدة القارة الإفريقية، ويأخذون المعونات من الدول الغنية، ونعود في السنة الثانية فلا نجد لهذه المعونات من أثرٍ، فالقارة السوداء لم تتقدم ولا بشبرٍ أو موطئ قدمٍ إلى الأمام، بل زاد الفقر والجهل والتيهان، أين تذهب الأموال التي تتبرع بها الدول؟ سؤالٌ محيِّرٌ وراعيها غابة من عشرين دولة من أعتى الدول، الجواب الظاهر للعيان هو ازدياد إسرائيل بالعدوان، واقتصادها يقوى من أموال سُرِّبَتْ لتدعم مصالحها وليس لرفع الفقر والجوع عن هذه القارة أو تلك؟

أعان الله مليكنا بالتصدي لهذه السياسة التي الحُكم فيها للأقوى، وشريعة الغاب هي القانون والمأوى، ولكن أليس الأسد هو ملك الغاب؟ أوَ ليس الإسلام رسالته

السلام؟ فمليكنا عبدالله له من الحنكة والتدبير ما تعجز عنها ساكنين وقاطنين غابة العشرين، أوَ ليس مليكنا مَن خطَّط وجعلنا بمنأى عن العواصف العالمية التي دمَّرت الاقتصاد العالمي، وأصبحت تسونامي تعصف وتدمر كلَّ مَن في طريقها؟

أمَّا زيارته لأمريكا فهي زيارة تأتي في وقتٍ تعصف الرياح الخماسينية الساخنة في منطقة الشرق الأوسط وسط تَنافُس وتَناحُر الأمم، والحروب الداخلية غير المُعلَنة بين أممنا العربية والمذاهب الإسلامية، من غير تَدبُّرٍ بأننا مستهدفون لتشتت جيوشنا وبث الفرقة بين شعوبنا؛ ليستطيع الصهاينة أن ينفردوا بالساحة ويصولوا ويجولوا في منطقتنا ليستولوا على حضاراتنا، ويقيموا في الأرض الموعودة، التي ربنا أعلم أين حدودها، قائدنا سيعبر البحار والمحيطات دفاعًا عن قضية أمة آثرتْ الانهزام والفُرقة عن الاتحاد والقوة... فلك الله يا عبدالله يا قائد سفينة النجاة والسلام، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

فلنقف بقوةٍ كشعبٍ واحدٍ وراء مليكٍ اختار أن يكون محاربًا، أفلم يكن المؤمن القوي هو المنتصر بإيمانه ونيته الصافية من مصالحٍ وانتماءات حزبيةٍ.

أمَّا الختام فهو مسك زيارته لفرنسا بدعوةٍ من اليونسكو، منظمة الثقافة العالمية، ليضع حجرَ أساس لنهضتنا الثقافية من الفنون التي امتازت بها حضارتنا السابقة وانشغلنا عنها بالتقنيات العصرية وأضعنا التراث والهوية، فهذا الملك شامل بخصاله الفريدة، فأوْلَى الفنونَ والثقافةَ اهتمامًا شديدًا؛ لأنه أدرك ببصيرةٍ أن الأمم تذهب، ولا يبقى سوى آثارها من فنونٍ وثقافةٍ تبقى للأجيال القادمة نبراسًا وبصمةً في عالمٍ تتناحر أيضًا فيه إبقاء الآثار والثقافات والفنون؛ لأنها تعلم أنها في الأخير زائلة ولا يبقى للناظرين والتاريخ إلَّا آثارها، فأولوها اهتماماتهم وجعلوها من أولوياتهم، أما نحن الأمة الإسلامية فجعلنا فنونا الفتاوى العصرية والتجاذب على الأفكار المذهبية، وأصبح التشدد فنًّا من فنون البعض من شرائحنا، لنترك بصمةً غير حضاريةٍ بين الأمم التي تنادي بالإبداع، فأصبحوا هم مَن يتحلَّون بالثقافة والفنون والجمال، ونحن مَن ينشر القبح ويعتبر الفنون عملاً من أعمال الشيطان،

أين الفنون والثقافة الإسلامية في عهودها الذهبية وآثارها باقية؟ أم لم نعد نلتفت إلَّا لأرقامٍ في البنوك، ونستورد الفنون لنعلقها في منازلنا، ونشرها في متاحفنا ومؤسساتنا، وندرسها في جامعاتنا، ونسينا دورنا في وقتٍ مضى وذهب في حقبةٍ ذهبيةٍ أثَّرت على العالم قاطبة، فتنبَّه لها مليكنا بفطنته المعهودة، وجعلها من أهدافه المنشودة إعادة الجمال لمجتمعٍ نسي الأهم واهتم باللمم، وآثر النشوز عن أهداف الإسلام والقِيَم الإلهية التي أعطاها ربنا أهمية، فأحد أسمائه جل وتعالى "الجميل" فهذا يكفي لتصدير المعنى، والاكتفاء بالتَّدبُّر لهذا الاسم الذي لا يحتاج للفهم أو التأويل، مثلث مستوي الأضلاع، هكذا خطَّط مليكنا، فأين نحن من هذه الرؤية السوية، والمعادلة الرياضية التي وضعها الملك منهجًا يُحتَذى به في كلِّ مكانٍ، فلنكن كشعبٍ مؤيدين ومساندين لمليكنا في رؤيته المستقبلية لأمةٍ تئن من ضربات داخلية وخارجية ومستهدفة لإزالتها عن الخارطة.

لذا وجب علينا أن نمسك بأيدي بعض، ونسير وفق منهاج خطة أسد الجزيرة العربية، لنرقى بأمتنا ونتفاخر بين الأمم في يومٍ لا ينفع فيه إلَّا مَن عمل عملاً صالحًا، وترك صدقةً جاريةً وبصمةً واضحةً في تاريخ كوكب الأرض قبل النهاية.

- **همسة الأسبوع:**

الهمس لم يعد يكفي
بل وقفة صادقة جلية واحترام
لملك الإنسانية والبصمة التاريخية
لأجيال قادمة ستذكر عبدالله
مؤسس النهضة الإسلامية
في القرن الرابع عشر هجري

أسدُ السلامِ ورسالة الإسلام

الأربعاء ٣٠ يونيو ٢٠١٠

صيفٌ حارٌّ ملتهبٌ تتخلله أمورٌ عجيبةٌ تذهل العقول ولا تبلل العروق، بل تجفف المصادر وتعمي البصائر، صورة خادم الحرمين الشريفين وهو رافع اليدين في بكةٍ، متوجهًا للقبلة مستعينًا بربِّ البرية على المسئولية التي أولاه إياها إلهٌ حكيمٌ وربٌّ رحيمٌ، منظرٌ تخشع له النفوس، وتنقاد له القلوب.

حكيم يسأل أحكم الحكماء وملك الملوك، بصيرةً وتدبيرًا، ولسانًا يفقه قوله، رسالة سيحملها خادم الحرمين الشريفين ويطير بها كالصقور، ويؤديها كالأسود في مجتمعات أدارت ظهرها للدِّين، ولله كمرجع فأصبحت المادة لغتها والسيادة هدفها والعولمة منهجها.

ماذا يريدون، وماذا نريد؟ هل نلتقي عند مفترق الطريق أم هي صور خادعة يظهرون فيها للإعلام، وقرارات أُحكِمَت وقُرِّرَت منذ زمنٍ بعيدٍ؟

لا يخفى على أحدٍ أنَّ الصهيونية هي العنوان الجديد المُعلَن لكلِّ نقاشٍ دولي أو قرارات مصيرية، حتى أهم مرجع ديني مسيحي في العالم في الفاتيكان، قد اعتذر من اليهود، وأصبح من جندهم ليمحو سيرةً تاريخيةً أجمع عليها كتاب التاريخ والرسالات الإلهية أن اليهود هم قتلة الأنبياء.

اعتذر أمام الملأ وفي أرض الأنبياء والرسل بأن العالم أخطأ الحساب وحاد عن المسار، وفهم التاريخ والسير خطأ؛ لذا وجب الاعتذار لنيل الرضا من القوة الخفية التي بها تُدَار الدول الكبرى، وتُخطَّط لها المسار لتبلغ بها هدفها، وهو الاجتياح العالمي المدروس للاستيلاء الكلي على منطقتنا التي يزعمون أنها من حقهم، كما

الأرض كلها بجبالها ورواسيها فهي لهم لأنهم الشعب المختار. فأشعلوا الفتن في المنطقة بين مذاهبنا المتناحرة وأطيافنا المتعددة، وهوياتنا الضائعة، فوجدوا أرضًا خصبةً لزرع سمومهم وتعاليمهم السرية. فها هي نجمة النجوم الغربية قد أطلقت رسالةً عالميةً في الثمانينيات من هذا القرن، وهي «مادونا» التي تنتمي إلى أقدم مذهبٍ من الديانة اليهودية وهي الكبالا التي تنتهج السحر دينًا، أسحار اليهود القديمة لهاروت وماروت، فحوى الرسالة قدَّمتها في حفلةٍ جماعيةٍ علنيةٍ اسمها «الفتاة المادية» وقد خلعت ما تبقى من ورقة التوت التي وارت بها سوأتها، وتَجلَّت للعالم بثوبٍ عارٍ من الانحلال الأخلاقي والجسدي، فأصبحت أيقونة ومثالاً يُحتَذى به إلى يومنا الحالي... والأمور تسوء يومًا بعد يومٍ حتى أُزِيلتْ الورقة تمامًا، وأصبح الجميع بما فيها أمتنا تتسابق لخلع رداء الحياء والتمرد والعصيان الجهور لربِّ العِزَّة والجلال، وبعد هذا تسألون كيف اليهود يحكمون؟

الإعلام العالمي يملكه اليهود، من مؤسسات هوليوود، إلى مردوخ صاحب أكبر مؤسسة إعلامية في العالم، فيبثون ما يريدون ويزرعون ما يصب في مصلحتهم لبلوغ أهدافهم القديمة، الحديثة، المستقبلية، في أجندتهم التي كتبها أجدادهم وأسلافهم من أمدٍ بعيدٍ بالسيطرة على العالم، سابقًا بالسحر القديم، والآن بالسحر الحديث وهو الإعلام؛ لذا مهمة خادم الحرمين الشريفين صعبة، وتحيط بها الأسلاك الشائكة، والأسوار العالية التي بناها اليهود منذ أزمنةٍ بعيدةٍ، واستطالوا بالبنيان ونحن سِرنا ورائهم، وأغلفنا قلوبنا، وأعمينا أبصارنا، وكله من أجل المادة التي هي سمة هذا القرن وعنوانه.

ألم يتنبأ بها رسولنا ﷺ، وأبقى من الأحاديث ما يكفي لتبصير العيون والقلوب؟ ولكن لا صوت لمَن تنادي، فأصبح الملك عبدالله يمخر عباب البحار، والأمواج العاتية تحيط به من كلِّ مكانٍ، والعواصف الإقليمية تهب رياحها، وتحاول أن تثبِّط من عزمه، وتحول عن بلوغ هدفه، السلام الذي هو قلب الإسلام وأهدافه السامية.

ولكن خادم الحرمين الشريفين بحار وقائد حكيم لسفينة الإسلام والسلام، قدر أن يستنبط حالة الطقس ومكان وزمان هبوب العواصف، فأصبح مُحنَّكًا لجعل العواصف والرياح تدفع السفينة للأمام ولم يجعلها أمام العاصفة الهوجاء لتحطم هيكلها وشراعها.

رحلةٌ بين الأمم خطَّطها الملك عبدالله برويةٍ ورؤيةٍ مستقبليةٍ وقراءةٍ عميقةٍ للتاريخ، فسيبدأ بقمة العشرين في كندا، والتي تحكم العالم باقتصادها؛ ليُعلِمهم أن الرؤية الإسلامية شاملة وطريقة حياة لذا استطعنا أن نجتاز الأزمات العالمية، ولم تؤثر فينا كثيرًا بإصرار وطننا على انتهاج الإسلام كقانون وشريعة وتعامل، فأصبح صوته عاليًا بين الأمم وقويًّا رنانًا له وزنٌ وشأنٌ، ومن ثَمَّ سيبلغ مغرب الشمس في وطن صناع القرار العالمي الحالي الذين باتوا يلعقون خسائرهم، ويعدون مكائدهم لنيل المكاسب وإشعال الحرائق في منطقتنا ليستطيعوا بيع أسلحتهم وإنقاذ اقتصادهم.

وبحكمة وبصيرة الصقور وشجاعة الأسود سيحل أسد الجزيرة العربية عبدالله بن عبد العزيز ليجادلهم بالتي هي أحسن ويكسب المعركة بأقل خسائر، وسيحاول أن يجعل هذا الصيف أقل حرارة، ومبيعاتهم أقل مكسبًا، وأهدافهم أصغر حجمًا، فالله معك يا ملك القلوب والإنسانية، فالكلُّ مشغول بفتاوى غريبة، وأحوال مجتمع عصيبة، وبأمورٍ صغيرةٍ أشغلتها عن الرؤية، والتسابق لجعل صوتها الأعلى بين الأمم من تأييدٍ ومحاضرات ورسالات دولية بأنهم وراء القائد المغوار ورائد السلام بكل ما يعنيه هذا المُسمَّى من معانٍ وأهدافٍ.

الأكثر شعبية ملك الإنسانية، هذه الألقاب لم تُعطَ من شعبنا التائه بين فتاوى النساء والإرضاع، ومَن سيدخل النار، وملاحقة للأحرار، بل أُعطِيَت من شعوبٍ رأت ما لم نرَ، وأُعطَت ما لم نعطِ لهذا المحارب من دون استراحةٍ ولا هروبٍ بل قائد مسيرة، مسيرة النور التي بدأت نتائجها تظهر للعِيَان، فللأسف لم نعطِ قائدنا حقه من مؤازرةٍ ووطنيةٍ ورسالة الإسلام من ولاءٍ وطاعةٍ والتخلِّي عن الضباب الذي

حجب رؤيتنا عن الأمم وهي رسالتنا الكونية رسالة الإسلام ممثلة في النبي الأمي محمد بن عبدالله ﷺ .

ومن بعدها سينهي رحلته بدعوة من الـ«يونسكو» التي تُعنَى بنشر الثقافات والفنون وعلامات الحضارات، ليخط بيده مقعدًا بارزًا لنا في مجال التنافس فيه عظيم لمَن يملك الرؤية الواضحة الطريق، والأهداف السامية من نشر ثقافةٍ جديدةٍ ومعلمٍ حضاري، وبصمة تاريخية في مسيرتنا مع الحضارات فأعطاها حقها؛ لأنه يعلم برؤيته الثاقبة أنها رسالة عالمية في زمنٍ يحتاج إلى هذه النظرة المستقبلية من نشرٍ لثقافتنا الغنية بدلاً من ثقافة الإرهاب والتشدد والتعصب الديني الذي نهى عنه رسول الأمة ﷺ، فبهذا تكتمل الصورة بمثلثٍ ذهبيٍّ من اقتصادٍ وسياسةٍ وثقافةٍ، فهذه هي أهداف عبدالله بن عبد العزيز السابقة لزمانها بدهورٍ، فنلحق بركب أسد الجزيرة العربية، وننشر ثقافة الوعي من دون إسفافٍ ولا انحلاليةٍ، ولا تشددٍ ولا عصبيةٍ، لنكوِّن وحدةً متكاملةً وراء ملك الإنسانية، ولنظهر للعالم صورةً يتمنى المغرب والمشرق الدخول فيها لا النفور منها، كما الحال الآن.

فالحروب بيننا، ومنطقتنا الملتهبة والمتناحرة لا يمكن أن نظهر للعالم بالثوب الذي ورثناه عن نبينا وهو الرسالة الأبدية إلى أن تقوم الساعة وتسجر البحار وتُدكُّ الجبال وتستوي الأرض وتُطوَى السموات، فحينها سيفوت الأوان، ولكن مَن أصلح وجمع وبلغ سيكون له الفوز بالجنة.

معانٍ وكلمات مزجتها بين الدِّين والدنيا، ألم تكن هي هذه رسالة الإسلام، فلِمَ النفور عند ذِكر الدِّين في عالم العولمة والتخلي عن الدين كأسلوب حياةٍ وعزلةٍ عن الدنيا وكأنهما لا يلتقيان؟ فالعبرة لشعوبنا بأننا لانزال وسنبقى حاملين الرسالة الإنسانية والسلام، والطريق الحتمي نحو نهايةٍ كل واردها ولكن العبرة لمَن يعتبر، فقلوبنا معك يا أسد الجزيرة العربية، مهد النبوة، وانبثاق النور وسطوع نجم الحرية والثقافة الكونية، فلنرفع راية التأييد لنصرة اسم مليك قَدَّر الله أن يسميه عبدالله، ولتُسمَع أصواتنا عبر وسائل الإعلام العالمية بأن ورائه شعبًا ذا رؤيةٍ

إسلاميةٍ مسالمةٍ ولكن بقوةٍ؛ فالمؤمن القوي هو المنصور لذا وجب علينا لعب أدوارنا ضمن المسارح الدولية بأن الإسلام هو الخلاص وليس اليهودية قاتلة الأنبياء، والولدان، وهدفها محو الحضارات إلَّا حضارتها المبنية على سفك الدماء.

الحقوق الوطنية والحقوق المدنية

الجمعة ٢ يوليو ٢٠١٠

الفرقُ بين الاثنين أن الحقَّ الوطني هو علينا، والحق المدني هو لنا، أطيعوا الله ورسوله ﷺ ثم ولي الأمر منكم، فحق الوطن علينا هو الولاء والطاعة لمَن أراد الله أن يكون وليًّا علينا، وأن نبذل كلَّ جهدنا بالامتثال والتخلي عن الأنا في سبيل الله ثم الوطن، ما هو الوطن؟ الوطن هو أرضنا، وليس هو أي وطن، هو أرض مشى عليها الرسول الأمي ﷺ المبعوث من الله رحمة للعالمين، كل ذرةٍ وحبة رملٍ وسفح جبلٍ، وحجرةٍ وصخرةٍ تشهد أنه سار عليها تتشرف بموطئه ﷺ، ضيفًا على هذه الأرض الطاهرة، أوَ ليس كلنا ضيوف الرحمن في هذه الدنيا، ولكن محمد بن عبدالله كان ضيفًا مقيمًا مادامت الأرض ومَن عليها بذاكرةٍ تحن القلوب لبكة، ولمأواه تشد الرحال لزيارته في طيبة الطيبة المدينة التي أُنِيرَت بساكنها ﷺ .

أما سائر مملكتنا الحبيبة، فهي قصص وملاحم للصقور والنسور، وفي آخر المطاف، أسد السلام، عبدالله بن عبد العزيز مَن شرف بلقب خادم الحرمين وسلطانه الذي يده ممدودة في كلِّ حينٍ للمحتاج والفقير، ونايف مَن ناف ولم يجعل قصورًا بيده وسيفه المسلول وحنكة للحرب على حرب القرن الواحد والعشرين وهو الإرهاب المستور، وإخوانهم من سلالة عبد العزيز صقر الصقور، فلله ثم لهم الولاء والطاعة، ونرفع آيات التوحيد والشهادة لحماية تراب هذا الوطن الذي لا يعرف مقداره إلَّا مَن سكنه وحلَّ فيه وعاش بأمنٍ وأمانٍ، ومن جَرَّب حياة الغربة بما فيها من تشتتٍ وضياعٍ، فحق الوطن علينا أن نفديه بروحنا، ونفدي رجالاته بأجسادنا كما فعل السلف من أجدادنا لمجرد كلمة وطن، فكيف يفتدي

الغرب أوطانهم بمجرد رفع ناقوس الخطر ونحن نجلس في بيوتنا إلى أن يزول الخطر؟ فكيف لنا أن نبني وطنًا وهذا حالنا؟ فالوطن يريد سواعد أبنائه فكما لهم عليهم من واجبات تجاه حماية هذا الوطن ورجالاته الذين يسهرون ليلاً نهارًا لحمايته من كلِّ معتدٍ أثيمٍ، مَن رحل من بلاده قَلَّ مقداره حتى لو كانت البلاد المقصودة بالنِعَم معروفة، وللحقوق حافظة كما يتوهم المتوهمون، والشق الثاني من الحكاية والرواية هي حقوق المواطن المدنية، فهذا الشق هو السؤال المُحيِّر والغامض من الحكاية.

نحن لا نعرف أين تبدأ حقوقنا المدنية وأين تنتهي، وأين تبدأ حرياتنا المدنية وإلى ما تؤول إليه حقوقنا الضائعة، بين هذا الجهاز وذاك المسئول، في مدارسنا لا تُدرَّس الحقوق، وفي جامعاتنا تنصرف أذهاننا إلى ما هو يملأ البطون، فلا في مدارسنا علَّمنا أجيالنا حقوقهم، ولا في جامعاتنا درَّسناهم حقوقهم الوطنية فأصبحنا كالماشية ننساق وراء هذا ولا نعرف تلك ونطالب بذاك، والأمور أبسط من شربة الماء، أقول بسيطة، نعم بسيطة لمَن يريد الوعي والاستثمار في إنسانيةٍ ويطلب المعرفة ويحترم ذاته فليبدأ بنفسه ويحفر الآبار، وتجري المياه من منابعها، ويحتمل على نفسه وينشر الوعي، كلٌّ في مجاله وطبقته ودوره ومحيطه، وبهذا نبدأ مسيرةً وطنيةً شعارها الوعي بالحقوق؛ لنشهرها أمام كلِّ مَن تُسوِّل له نفسه باللعب على الحبل والجهل، ونستثمر كلَّ قرارٍ أُصدِرَ ولم يُفعَل بالإصرار على تفعيله بالحوار وتوصيل الخبر بالإعلام، لتعم المصلحة للجميع ولا نجلس كالشيطان الأخرس، كلٌّ يريد الآخر أن يقوم بالمهمة الصعبة ويتحمل الملامة والنصب والتعب، وفي المُحصِّلة يهرب من المعركة والميدان عندما تلوح في الأفق علامة حمراء وحدود يخطها المسئول، والكلمة المعتادة "أنا ليس بيدي شيء" إنما بالواسطة تقدرون أن تفعلوا كلَّ شيءٍ، فهنا نهدر الحقوق ونهدر الآدمية والمبادئ الإسلامية على صخور المدنية والحقوق المسلوبة من المواطنين باسم الهيبة والضبابية التي تلف بعض المسئولين في أسفل الهرم، فلا نعرف لهم

سَميًّا ولا نقدر أن نمسكهم بأيدينا؛ لأنهم مثل السائل اللزج ينسلون من أيدينا كلما ظننا أننا أطبقنا أيدينا حول أعناقهم، وبقدرة قادر يتحللون من العقود، ويتابعون المسيرة من إهدارٍ للحقوق والتَسلُّط على العباد؛ لأنهم يعرفون الجهل المستشري بين المواطنين عن حقوقهم غير مكترثين، وأصواتهم ليست مسموعة؛ لأن آدميتهم مُهدَرة وببساطة لأنهم فقراء لا يملكون ما يملكه الآخرون من سُلطةٍ وهيبةٍ.

لا مليكنا - حفظه الله - ولا رؤوس هرم السلطة راضون عن أحوالنا، ولكن يد واحدة لا تصفق، لماذا ننتظر من المليك وإخوانه دائمًا أن يعطونا ولا نعطي نحن؟ لماذا نتكل دائمًا ولا نقف بأنفسنا ونعرف حقوقنا؟ لماذا ننتظر دائمًا تصريحًا صحفيًّا لهذا المسئول أو ذاك لتبتل عروقنا وكأننا لا نرتاح إلَّا عندما تؤخذ المسئولية عن عاتقنا ليتحملها غيرنا ويقوم بالواجب والعزاء؟ لماذا ننتظر دائمًا من حكومتنا أن توعِّينا على أبسط حقوقنا مثل الأطفال الرُّضَّع ألم يحن وقت الفطام؟ ألم يحن وقت أن نقوم بواجباتنا من غير أن نثقل ظهور ولاة أمرنا بالأوامر التي أُصدِرَت ولكن لم تُنفَّذ وندرس حقوقنا وواجباتنا وما لنا وما علينا وليقوم الإعلام بدورٍ إيجابيٍّ من نشرٍ للوعي بدل الفضائح الإعلامية والإعلانات التجارية التي تُدخِل مدخولاً هائلاً من المال، ولا تُدخِل ولا مبدئًا واحدًا من مبادئ الاستقلالية والاعتماد على النفس والتعريف بالمبادئ الوطنية والحقوقية؟ أما آن الأوان للتغيير النمطي والسلوكي في الاعتماد دائمًا على الآخر لنيل الحقوق ونستثمر هذه الفورة الإعلامية والنهضة العلمية، لنشر ثقافة جديدة للتعريف عن الحقوق، فالحرية الشخصية تنتهي عند حدود ابتداء حرية الآخر، الضجيج في المعاملات لا ينتج عنه إلَّا دوي يصم الآذان، والجهل بالقوانين هو ما يزيد اشتداد المفسدين، والوطنية هي سر الهوية، والحقيقة ومعرفة الأمور هي الوضوح في الرؤية لمستقبلٍ نوره يضيء السبيل لمَن أراد حقوقه كاملة غير منقوصةٍ.

فلنشمِّر عن سواعدنا وننزل حلبة العلم، ولنصارع برويَّةٍ وسكون الريح، وندافع عن الوطنية وحقوقنا المدنية، فلم يذهب حقٌّ ورائه مُطالِب قط، ولكن الحق يذهب

بعيدًا عمَّن لا يريدون التعب ولا العمل بل يريدون صينيةً من الذهب، فتذكَّروا ما استحفظكم الله من كتابه، واستودعكم من حقوقه؛ فإنَّ الله لم يخلق الإنسان عبثًا، ولم يترككم سُدىً، ولم يدعنا في جهالةٍ ولا عمى، فقد علَّم أعمالنا وكتب آجالنا، وأرسل على لسان نبيه ﷺ ما يحب من الأعمال وما يكره ونواهيه وأوامره، وإذا أَحَبَّ الله عبدًا أعانه على نفسه.

- **همسة الأسبوع:**

عن علي رضي الله عنه: اعلموا أن الأمل يُسهِي العقل ويُنسِي الذكر، فاكذبوا الأمل فإنه غرورٌ وصاحبه مغرورٌ.

اغتصاب زهور برية

الأربعاء ٧ يوليو ٢٠١٠

على مرِّ العصورِ كانت المرأة سببًا لكلِّ المتناقضات في حياة الرجل، وشمَّاعةً يضع عليها أسباب نجاحه أو إحباطه وفقًا لأهوائه، وفي كلِّ المجتمعات الدولية نرى ونسمع عن قصصٍ خياليةٍ عن تجارة البشر وخاصةً التجارة في الإناث، بمَن لا تزيد أعمارهن عن ١٣ - ١٥ عامًا بأقصى حدٍّ، لتصنع في المجتمعات الدولية معاناةً صامتةً وسكوتًا دوليًّا لمافيا دعارة الأطفال، فقد رأينا بأمِّ أعيننا الفضائح العالمية لسياسيين ومشاهير ومستشارين حتى أساتذة جامعات متورطين فيما يُسمَّى بدعارة والاتجار بالأطفال، وليس هناك تبريرٌ لهذه البشاعة من انحدارٍ للقِيَم، ولكن وبكلِّ الأحوال نتفق أنَّ مَن ليس له وازعٌ دينيٌّ أو أخلاقيٌّ بمجتمعات قد أباحت حتى الزواج المثلي، فلا عجب أن يتم اغتصاب وانتهاك تحت ستار الليل وبمباركة وحماية رجال السياسة والفكر، ولكن أن تُنتَهك أعراض بناتنا باسم الإسلام والشرعية، فهنا يجب أن نتوقف ونسأل: لماذا وكيف؟ أتحت أنظار مشايخنا وقضاتنا يُحلَّل لذكورٍ بلغوا من العمر عتيًّا أن ينالوا باسم الدين والفهم المغلوط للسُّنَّةِ النبويةِ أن تغتصب بناتنا وتحت ولايةٍ همجيةٍ لمفهوم الأبوة؟ ويُحاك تحت غطاء المثال النبوي لزواج عائشة عليها السلام كمثالٍ يُحتَذى به لتمرير شذوذ بعض كهولنا وعقوق بعض الآباء عن فهم منهجية رسولنا ﷺ في قراءتهم المغلوطة عن تَملُّك سيد البشرية ودخوله بأحبِّ زوجاته إليه بعد خديجة الكبرى.

وهنا لا يوجد على الإطلاق اتفاقٌ على موعد دخول محمد بن عبدالله على السيدة عائشة، فمنهم مَن قال بنى عليها في الثالثة عشرة أو الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة وهي الأرجح، وفي كلِّ الأحوال فما كان سيدنا وحبيبنا خير البرية والمبعوث لإتمام مكارم الأخلاق جبارًا شقيًّا، فقد كان يلاعبها مثل الأطفال

ويتحمل عنفوان شبابها بالابتسام والملاعبة والجري، أما ما نحن فيه الآن كواقع، فهذه حالات وحشية لذئابٍ بشريةٍ اتخذت الدين غطاءً لتغرس أنيابها وتدمِّر طفولة لتصبح تجارةً في مجتمعنا لترضي شذوذ بعض رجالنا تحت أعينٍ ومسمعٍ وتَرصُّدٍ وإرصادٍ من كتاب الأنكحة.

لا توجد قوانين معينة تقيِّضهم عن اقتراف جريمة تحليل اغتصاب الطفولة؛ فالزواج في الإسلام هو اتفاق بين طرفين بالغين راشدين ومقرون بموافقة ومعرفة الطرفين بالحقوق والواجبات المترتبة على العلاقة، فأين نحن هنا من المعادلة الصحيحة؟

عذرًا يا أيام الطفولة البريئة فقد اقترفت وحوش مجتمعنا جريمةً إنسانيةً، عذرًا أيتها الطفلة البريئة، فقد سلَّموكِ لأيدي الذئاب البشرية بأثمانٍ بخسةٍ، عذرًا لمجتمعٍ أصبح لا يصبح ولا يمسي إلَّا على سيرة الجنس واغتيال البراءة، فلنرجع إلى قصص نعتز بها لأيامٍ مضت من المشاعر الإنسانية، والحكايات المروية من جداتنا وأجدادنا عن احترامٍ متبادلٍ بين طفلين عاشقين بريئين كان حلمهما أن يسيرا على شطآنٍ ذهبيةٍ في أماكنٍ منسيةٍ وأحلام وردية، متجانِسَين في العمر والرؤية المستقبلية، بكلِّ انسيابٍ لبناء مستقبل لأجيالٍ قادمةٍ تعي وتدبر المعاني السامية لقرآننا وسُنَّة نبينا، ولا تتخذ الهمجية والجاهلية دستورًا لاغتصاب طفولة باسم السُّنَّة النبوية، فحاشا أن نقارن نبينا بهذه الحالات التي لا تنتمي إلى دينٍ سماويٍّ ولا قانونٍ أرضيٍّ يُعنَى بالإنسان والإنسانية.

غفوتُ لحظةً بين الأرض والسماء، فثُرتُ بعد لحظةٍ ومسكت قلمي الأرجواني اللون؛ لأدافع عن أمومتي، عن غضبي، عن ثورتي، ضد مَن تجرأ بِجَرَّةِ قلمٍ أن يلغي معنى طفلة وبراءة أنوثة وحلم وردي من كتاب العشق والحلم بقفصٍ ذهبيٍّ مُفعم بالحبِّ والأحلام، ليُقحِمها في عالمٍ سفلي من اغتصابٍ بشري باسم شريعة لا تَمُتَّ بِصِلةٍ إلى ديننا الحنيف بل إلى شريعة الغاب، وغياب الضمير عن أمومةٍ وأبوةٍ وجيلٍ عقيمٍ يتاجر بأطفالنا ويرجع بنا إلى زمن الرقيق..

ملاءٍ أَمْ قرصنة جوية؟

الجمعة ٩ يوليو ٢٠١٠

حيث أنني أسافر كما الناس جميعًا هربًا من لهيب صيف جدة، ورضوخًا لطلب أولادي للخروج من أجوائنا الاجتماعية الأكثر سخونة، تهيئتُ للسفر واعتراني القنوط قبل ركوبي خطوطنا المتميزة بخدماتها الرائعة، والخارجة عن كلِّ قوانين الملاحة العالمية، فحتى خطوطنا خاضعة لأهوائنا الوطنية من الحبِّ والعشق للخروج عن كلِّ القوانين في حياتنا اليومية، فرئيس خطوطنا من الواضح أنه من المعجبين بالمافيا الدولية وبالألعاب البهلوانية وحفلات السيرك العالمية، ما إن وضعتُ رجلي اليمنى داخل الطائرة، إلَّا وقد بدأت الحفلة التي لم أعرف وجودها إلَّا عند صعودي سلم الطائرة، فقد بدأ المسافرون من أول لحظة يتساءلون عن درجة الحرارة داخل الطائرة، هل هي طبيعية أم قررتْ الخطوط أن تضيف خدمة الحمام المغربي لمسافريها؟

وما أن أقلعت الطائرة وطبعًا يُعَدُّ هذا تأخيرًا طبيعيًّا لخطوطنا وهي دائمًا تتأخر عن التطوير العالمي للخدمات، وليست مُلزَمة بالمواقيت المتعارف عليها دوليًّا، فهي صورة مشرقة للدكتور الملحم من الخروج عن كلِّ ما هو مألوف للأمان الجوي والملاحة العالمية من قوانينٍ ونظمٍ دوليةٍ حتى بدأت المسابقات والجري والأصوات اللاحضارية، فبعد إقلاع الطائرة بثوانٍ أصبحنا في ملاءٍ سعوديةٍ من أطفال يتسابقون في الممرات، ورجال يتنزهون عند المضيفات، ونساء يتكلمن بأصواتٍ عاليةٍ عن آخر الأزياء وكأننا في عزيز مول أو مجمع العرب، فالأطفال كانت أصواتهم تعلو وتعلو، ولا يوجد أحدٌ على متن الطائرة يُوقِف هذا المهرجان الذي اكتمل عند تقديم الطعام، فالكلُّ خارج داخل على المنطقة المُخصَّصة للطعام

حاملين بأيديهم ما أرادوا من طعامٍ، وما أدراك ما هو الطعام، لحوم قد جفت، وأسماك تنادي بالخروج من لائحة الطعام، وخضار صعب هضمه، وسلطة من مخلفات الأزمان، وحساء عفا عليه الزمان. وهذا ليس بالمهم مادام الأمن والأمان، ولكن تفاجأتُ بأن الطائرة الجديدة مُعطَّلة منذ الإقلاع، فالتبريد لا يعمل والأجهزة الاتصالية موقفة لإشعارٍ آخرٍ.

أمَّا حركة المقاعد فهي بالفعل أروع ما في القصة، فتارةً تصعد إلى الأعلى وتارةً تتقدم إلى الأمام، وتارةً لا تعرف بأيِّ اتجاهٍ تسير، ولا إلى أيِّ هدفٍ وُضِعَتْ، فناديتُ المشرف فقال لي حديثه المعروف من قِبَل كلِّ موظفي الخطوط "مش ذنبي اسألي الكابتن!" وعند سؤالي عن الكابتن، فالجواب كان أكيد لا يقدر أن يترك غرفة القيادة لأسبابٍ أمنيةٍ، وهل أكثر من تعطل معظم الأجهزة معنىً أمنيًّا وسلامة الركاب؟ فأصبحتُ مُعلَّقة بين الأرض والسماء لمدةٍ تزيد عن ست ساعات لا أعرف هل سألاقي حتفي أم سأنزل بسلامٍ؟ وأنا أدعو على إدارة الخطوط «بأن ربنا يريهم الحقيقة» ويجعلهم يعانون كما نعاني لربما يصحون من غفلتهم، ويُحاسَبون حسابًا عسيرًا من قِبَل إلهٍ لا ينسى مَظلمة العبد للعبد، فكيف بملايين الأنفس البشرية التي سلامتها في يد مَن لا يعرف قوانين أمن الملاحة العالمية ولا هي من سيرته الذاتية؟ فرقاب العباد أصبحتْ في يد إدارة تحتاج لإرادةٍ جبارةٍ بأن تستيقظ من سُباتها قبل فوات الأوان؛ لأن النهاية قريبة فلن تستطيع طائراتنا التَحمُّل أكثر من ذلك، ولابد من كارثةٍ جويةٍ لتضع كلَّ طاقم هذه الإدارة تحت المساءلة والمحاكمة المحلية والدولية، هذا إن لم يُرفَع عليهم قضيةٌ عالميةٌ من قِبَل مجلس الملاحة الجوية العالمي ليضع خطوطنا في أسفل القائمة، وتكون قضيةً عالميةً، فنحن لسنا بحاجة لها في هذا الوقت ولا هذا الزمن، فكفى بسُمعتنا العالمية كمستهترين بالأنظمة الدولية، فكيف بجهاز يمثل دولتنا ويكون مضادًا لقوانين الملاحة الجوية؟

لابد من رادعٍ، ولابد إلى مَن يقف بوجه هذه الإدارة التي أصبحت بلا ضميرٍ ولا حسٍّ وطنيٍّ ولا تخاف من أحدٍ؛ لأنها أصبحت تأخذ في العلن كلَّ الميزانيات الحكومية لتضعها في غير محلها، وهذا ليس على أحدِ بِخافٍ، فالوضع المزري يراه الجميع ولكن الكل ساكت.. لماذا؟ هذا سؤال محير يقلقني، وأتساءل ما هي الحكاية؟ فلابد من رفع أصواتنا عند مليكنا وولي عهده ولابد أن نجتمع وأن نوصِّل أصواتنا بأن خطوطنا أصبحت ملاهي جوية، وخطرًا على أرواحنا وسُمعتنا الدولية.

- **همسة الأسبوع:**

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْن ﴾

تصدير «حضارة»... أم تصدير «إرهاب»؟

الأربعاء ١٤ يوليو ٢٠١٠

نتزاحم في كلِّ عامٍ طوابيرَ أمام وكالات السفر ننتظر الفرج والهروب من حرارة الجو وسخونة الأجواء الاجتماعية، تسعة أشهرٍ نمضيها لابسين الأقنعة على رغم أنوفنا، ملتزمين من غير اقتناعٍ أو تدبيرٍ، فقط لأجل صورةٍ رسمناها لأنفسنا، واعترفنا بأننا قادرون على أن نخدعها لحينٍ.

وما أن يدق ناقوس الأجازة حتى نسارع لخلع ثياب التقوى والكفاية من شيوخ وولدان من ذكورٍ وإناثٍ، على شتَّى المستويات والطبقات الاجتماعية والعمرية، بدايتها تكون عند صعود الطائرة، فتُسارِع النساء بخلع العباءة، أما الرجال بحسب طبقتهم إما بالجلباب الوطني وإما ببدلة «جيفنشي»، فأمَّا غطاء الرأس لنسائنا فهي أصبحت طوابق مبنية، ووجوه زُخْرِفَتْ بشتَّى أطياف ألوان قوس القزح، ولم نعد نرى البداية من النهاية، وروائح عود تعبر السحاب وتصول وتجول في مكيفات الطائرة لتُزكِم الأنوف ثم تطول مراكز البنية في عقولنا بأن يوجد سيدة ذات رائحةٍ نفَّاذةٍ تُدير الظهور والعيون للمناطق المحظورة، وأما رجالنا فتحلَّوا بأروع الساعات السويسرية وأرقى العطور الفرنسية وأجمل القصات الغربية بعد أن كانت حبيسة الأدراج لحين وقت صعود الطائرة، ومَحَافظهم مليئةً بشتَّى أنواع النقود والكروت التي جُمِعَتْ طوال عامٍ، وحُرِم منها الأطفال والزوجات، لتعلن حريتها في هذه الأوقات التي يعبر فيها الزوج الحدود الجغرافية ليصرفها وينثرها ذات اليمين وذات الشمال في الأماكن الليلية والملاهي العصرية، وعلى المغنين الموهوبين، وذوات الاختصاص من تصدير هذه الفئات خلال الصيف.

ففي أوروبا والبلاد الشرق أوسطية يُعدِّون العدة لهذا الموسم ويترقبونه لملء جيوبهم التي فرغت طوال فترة الشتاء، فتراهم مستعدين لتلبية كلِّ الرغبات العربية من سيارات فارهة، وحسناوات، وأماكن معروفة للجميع، إذ الملتقى والرقص على أوتار الجذب للأجمل والأثرى وذلك كله يعتمد على الطبقة الاجتماعية وقدرتها على اجتذاب ما لم تقدر عليه في موطنها.

شوارع معروفة بالشوارع العربية، إذ الأغاني الخليجية تصدح بكلِّ حريةٍ، لتعلن أنه بهذا الموقع توجد ثروات جاهزة للعطاء، مادامت الطلبات مُنجَزة، ومُهيَّئة للأجواء، والطبيعة الخليجية، فنادق مملوءة لحدِّ الاختناق، ورائحة الأطباق العربية تجوب بكلِّ مكانٍ، أما الظاهرة الجديدة من شيشةٍ لبنانيةٍ فهذه قصة أخرى من تلوث حتى الأنفاس الطبيعية، فالتلوث اجتاز حدوده الجغرافية ليصبح فيزيائيًّا وكيماويًّا ويصبح معادلةً رياضيةً.

ففي النهار ينام جنسنا من المخلوقات الغريبة، وفي الليل تستيقظ هذه المخلوقات الكونية لتصبح مثل الخفافيش لا تعيش إلَّا في الظلام لتُحاكي نفسيات مظلمة ضبابية تعيش بازدواجيةٍ، وتجول وتصول تحت جناح الظلام حتى لا يرى أفعالها إلَّا من كانوا مثلها أبناء الظلام.

أين حضارتنا الإسلامية وهويتنا العربية التي بناها أجدادنا لعقودٍ وأزمنةٍ مَنسيةٍ؟ أين ابن بطوطة ومناطقه الجغرافية؟ أين ابن سينا من أمراضنا المستعصية؟ أين ابن حيَّان من تركيبتنا الكيماوية؟ أين المتنبِّي من لغة الضاد التي أصبحت مَنسيةً؟ أين المغرب العربي الشاهد على توسعنا وانهزامنا الحضاري؟ هل هذه العادات والقِيَم الإنسانية التي نريد بها تصدير حضارتنا الإسلامية وهويتنا العربية ومبادئنا الدنيوية؟ حضارةٌ اندثرتْ وحَلَّ مكانها جهلٌ، وصورةٌ مُشوَّهةٌ لِمَا آلتْ إليه مجتمعاتنا من ضياع قِيَمٍ وهدم حضارة أُرِيقَتْ فيها الدماء، وخُطَّتْ الأقلام والعلوم لوضع لبنةٍ أساسيةٍ لكلِّ العلوم العصرية.

أين ابن تيمية والشافعية والحنابلة من أحوالنا الاجتماعية؟ أم أصبحتْ مجرد مناهج تُدرَّس في أروقة مؤسساتنا التعليمية؟ فنحفظ خلال العام، لنضعها في الأدراج خلال أسفارنا، فهذا يثبت عدم جدواها وطريقة تعليمها لأجيالنا الحالية؛ لأنه لم يعد يوجد قدوةٌ ولا تَدبُّرٌ للمعاني الدينية، بل حفظ وكتابة للنجاح أو الرسوب لنيل شهادة وليس لكسب أخلاق ومنهج نسير عليه، وننتهجه كحضارة نُصدِّرها للعالم ونكسب الرهان وننجو من براثن الكفر والعصيان.

أما الإرهاب فهو جاهزٌ للتصدير بكلِّ عزيمةٍ وتخطيطٍ، كهوية وحضارة جديدة، بنينا عليها آثارنا المجيدة الحديثة، ففي كلِّ بلدٍ أوروبي نرى الشيوخ المُلتحين أخبارهم على كلِّ لسانٍ، وفي الصحف أخبارهم تهز الأبدان، ونشوِّه صورة أفضل الأديان وسيرة خير الأنام، مراقبون يبثون روح الفُرقة، وأشكالهم لا تَمُتُّ بِصِلةٍ للجمال لا من بعيدٍ ولا من قريبٍ، زوجاتهم منقبات وكأنهنَّ بذلك اتبعوا سيرة عائشة وأمهات المؤمنين، ألم يتدبروا الآيات والسور في قرآننا بأنه لا توجد آية تدل على هذه العادة؟ وليست موجودة في الدين؟ أم أصبح الإسلام وسيلة لنشر العنف، والصورة القبيحة، ونسوا الجمال والسلام والسكينة والحوار بين الأديان، فيُكفِّرون ذاك ويحلِّلون هذا وكأنهم يملكون رقاب العباد ولا يعرفون أن هذا فقط لربِّ العباد؟

أحوالنا الداخلية لا عجب، وأمَّا أحوالنا الخارجية حبر على ورقٍ؛ فالحبر تمحوه المياه المتدفقة من تشددٍ على العباد من غير رُخصةٍ إسلاميةٍ، ولا تَدبُّرٍ للسيرة النبوية.

أما العجب وكلُّ العجب فنزوحنا الجماعي للسفر في كلِّ عامٍ من غير تغييرٍ للأنماط السلوكية التي تدعو للاستحياء من ربِّ العباد من إسرافٍ وجهلٍ، كأن انتهالنا من ثقافتهم وحضارتهم كفر وحرام، وسهرنا في الليالي حلال وانتقام من حال مَرضية مستعصية لا توجد لها هوية.

أين أخلاقنا وعلومنا؟ وثقافتنا وحضارتنا يا أمة محمد؟ أين أضعنا الهوية؟

بين انحلالِ حضارةٍ، وسطوع نجم نمط جيد للإرهاب المستتر المعلن، الرواية مُحبَكة، والأدوار مُوزَّعة أين الصواب وأين الخلل في هذا المرض الذي استحوذ على عقولنا وغيَّر من طباعنا وأغنى جيوب مَن نُلقِّبهم بالكفار والمتمردين على الله؟ وعلى رغم كل هذا نسافر كلَّ عامٍ للأهداف نفسها، وهي التحلل من القيود الداخلية، والأقنعة الذهبية، والبرونزية، والبلاستيكية، لتصبح هجرةً جماعيةً ليد العالم، مَن نحن وما ثقافتنا وحضارتنا الحالية من أخلاقٍ وصورٍ مُبتَذلةٍ ليس لها علاقة للحضارة من صلةٍ؟

متى نرى أنفسنا في المرآة، من غير أقنعتنا، ولا سحر كلماتنا التي أعمت بصائرنا عن رؤية الحقيقة؟ وهي أننا كأمة أصبحنا أضحوكةً وممولين للجيوب، وليس شعبًا ذا احترامٍ وقِيَم ظاهرة للعيان، فحلالنا مرهون بفتوى وحرامنا مرهون بأهواء، وقِيَمنا وثقافتنا أصبحت «هز البطون، وآهات يا ليل يا عين» فنحن موقوفون جامدون في فضاءٍ لا يسمع إلَّا رنين الذهب، وأهواء لا يُرضيها إلَّا الأغاني والطرب، وبالمقابل رجال لا يستهويهم إلَّا الضرب على الوتر، وتر تمثيل إسلام بُنِيَ على هدمِ للقِيَم بشتَّى الوسائل من عنفٍ وترهيبٍ وإرهابٍ للنفوس، فأصبحنا ما بين البين، في جهتين قطب جنوبي وقطب شمالي، لا يلتقيان أبدًا.

أضعنا الهوية والحضارة أيتها الأمة العربية التي بناها أجدادنا بكلِّ كدٍّ وتعبٍ، وبِجَرَّةِ قلمٍ أزلنا قرونًا من التألق وتصديرًا للفنون والعلوم والسلام، لنصبح مهزلة وألعوبة عالمية يُقذَف بنا ذات اليمين وذات الشمال، وحضارة اضمحلت وغادرت، وأصبح مكانها مصطلح اسمه الإرهاب والشتات، وضياع حضارة كانت على سفوح جبال وقمم.

ردود سريعة.. التحضير

الجمعة ١٦ يوليو ٢٠١٠

سبحان الله، كما وُجِدَتْ مطاعم للوجبات السريعة التحضير، فقد أُوجِدَتْ للمسئولين ردود سريعة التحضير، فما أن نكتب عن موضوعٍ ما إلَّا ويبادر المسئول بالنفي وسرعة الرد، وكأنَّما الطبخة طُبِخَتْ وأُعِدَّت لخدمة قضيةٍ ما، أو لنقل حالةٍ ما، فأصبح لدى المسئولين من شتَّى القطاعات ردود سريعة لكلِّ القضايا المُعلَّقة والواقعية متوقعين أن الأمور لازالت كما عهدناها في السابق بمجرد أن ينفي المسئول شبهةً ما أو حدثًا ما أو حالةً ما نسارع للتصديق، ولم ينتبهوا أن الأمور تغيَّرتْ، ولم نعد نصدق التصريحات التي تعمي العيون، وتصم الآذان؛ لأن الأمور بكلِّ بساطةٍ قد تغيَّرتْ، وأصبح المواطن أكثر دراية بالواقع لأنه يعايشه، ولكن المسئول وللأسف، فإنه في عرشه العاجي يعيش بين السحاب فوق غيمةٍ تحجب عنه الرؤيا، وتُبعده أكثر وأكثر عن الواقع الأليم الذي يعايشه المواطن، والزائر والمقيم، من تناقضات بين التصريحات الإعلامية والحياة العملية، فلنستعرض بعضًا من هذه التصريحات، والتناقضات على السريع كردودهم سريعة التحضير..

- غرفة جدة التجارية وبعض مسئوليها ينفون بشدةٍ تأثير ما يحدث في الساحة من قِبَل بعض الهيئات الحكومية على السياحة ومنشآتها بجدة؛ وهذا بالطبع لأنهم لا يزاولون العمل الميداني، ولم يسألوا أصحاب المنشآت عمَّا حصل لهم من معاناةٍ وخسائرٍ ماديةٍ، وعزوفٍ من الزبائن على ارتياد المقاهي والمطاعم؛ لأنهم وبكلِّ بساطةٍ مشغولون بعدِّ الأموال أو تنظيم المهرجانات التي تُدَار وتُنظَّم بشكلٍ عشوائيٍّ، ونتائجها عبر السنين كارثة، فكيف يديرون أعمالاً وينظِّمون مهرجانات

ويخسرون أموالاً، ويريدوننا أن نصدق ردودهم السريعة بإلقاء اللوم على هذه المشكلة أو تلك المعضلة، ويبدِّلون كلَّ سنةٍ أهواءهم ويفكرون ببدائلٍ تجلب الخسارة لعدم معرفتهم بالأجواء الواقعية والأحوال الجوية، والتغيير الفكري للمواطن والزائر، فلا هم عاشوا الواقع ولا هم استطاعوا أن يبتكروا البدائل، ويريدوننا أن نصدق ونستسلم لرؤيتهم الضبابية وأقوالهم الأرجوانية، وردودهم الاصطناعية.

- لنخرج من السياحة والغرفة التجارية، ونذهب باتجاهٍ آخرٍ وهو الحالة الكهربائية والمائية لمنطقة جدة التسونامية، فقد صرف الملك مليارات لإنشاء محطات توليد وتحلية لمياه البحر التي لا تنتهي ومخزونها لا ينضب، فأين الخلل وأين الحلقة المفقودة، بالطبع لديهم الردود سريعة التحضير، بأننا في صيفٍ ذي حرارةٍ شديدةٍ تُعطِّل المولدات وأجهزة التحلية، أوَ لم يفكروا بحالة طقسنا عند إنشاء هذه المصانع أم استوردوا أجهزةً عفا عليها الزمن أو مولدات تصلح للقطب الشمالي، وتحلية لمياه الأنهار؟

فالأموال تُهدَر، ومُلَّاك مصانع الأغذية يقولون لا صوت لمَن تنادي، وهيئة السياحة تقول لا دخل لنا، والطلاب يرسبون ولا مَن يبالي، فالحالة مزرية والدائرة تتسع لأكثر من مُنادٍ ولا مَن يُلبِّي، فأحوالنا الاجتماعية ليست أفضل، فأئمتنا الأفاضل يتنابزون بالألقاب، وكلٌّ منهم يصيح بالفتاوى، وكأنَّ البلد لا يوجد لها مفتي ولا ولي أمر يرجعون إليه من قبل الإفتاء، أو الظهور في منابر الإعلام و يحثون الناس في الخُطَب على الامتثال لولي الأمر، وهم أول الشاذين عن القاعدة، فكلٌّ يتكلم عبر المنابر بِلُغةٍ شاعرية يحسبون أنَّ لها تأثيرًا على المشاعر، ولا يعرفون أن ثلاثة أرباع الأمة لا تفهم السجع من الكلام، وأنهم يخاطبون العامة في القرن الرابع عشر هجرية لا السابع من الهجرة النبوية، فنراهم ردودهم سريعة التحضير، وكأنهم قد أَعدُّوا العدة وجهَّزوا الطبخة حتى قبل نضجها، فالكلٌّ يتنافس على ضم أكبر عددٍ من المؤيدين، وتركوا الرجوع إلى ولي الأمر ليتحدث ويفتي

بالأمر، ليكونوا أسوةً وقدوةً لنا وليس العكس، فالناظر يرى أن هيئاتنا الدينية لا تتفق على أمرٍ، فأصبحوا كالوجبات الجاهزة سريعة التحضير لا تُهضَم بسهولةٍ وتُسبِّبُ عسرَ هضمٍ وأمراضًا مستعصيةً لا يوجد لها شفاء ولا أدوية.

أما حالتنا الاقتصادية فحدِّث ولا حرج، فالأسعار المحلية تغلي مع غليان الجو والمنشآت السياحية ترفع الأسعار وكأنَّ المواطن يملك ما يريد أن يتخلص منه من الأموال الزائدة فيعاونونه على إيجاد حلول سريعة التحضير، بترك التجار يلعبون في أسعار الفنادق والتذاكر والمطاعم، كلٌّ حسب ما يراه مناسبًا لتخليص المواطن من عبئه الثقيل وهي الزيادة في الأموال، والكثرة في الخيارات فلم يعطوه بديلاً، بل ألزموه بارتفاعٍ للأسعار ليس معه خيارٌ إلَّا الخضوع والاستسلام، وإن سألتهم فردودهم سريعة التحضير، وهي الأسعار عادية، ولا يوجد أسعار خيالية، ولكن مصدرها أوهام البعض نتيجة ارتفاع حرارة الطقس، ينفون القضية برمتها، بكلمةٍ مفادها إما أن تُصدِّقوا وإما نتهمكم بالجنون والخروج عن الأعراف والتقاليد، فهل يُعقَل أيها المسئولون عن الرقاب والمحاسبون أمام ربِّ العباد أن تَردُّوا علينا بردودٍ سريعة التحضير، بزمنٍ لم يعد يوجد لهذه الوجبات من زبائنٍ تستسيغها وتهضمها، وأصبح لديكم رقيب، هو المليك عبدالله، وولي عهده وسمو النائب الثاني، على مَن تُسوِّل له نفسه اللعب بمفردات لا تلئم الجروح، ولا تمنع سيلان الدماء من عروق المواطنين التي جَفَّتْ منابعها، وسالتْ دماؤها وشُتِّتَتْ أهواؤها، ما بين محلِّلٍ ومُحرِّمٍ، ونافٍ وجازمٍ ومُطفِّفٍ وعادلٍ.

وهذه إلَّا بعضٌ يسيرٌ من مشاكلنا التي يجب تيسيرها لا تعسيرها، أما الباقي فهي لائحة طويلة من المشاكل التي يجب أن تُوضَع لها حلول واقعية لا مجرد كلمات وهمية لإشباع حالة طارئة، ونثر الرماد فوق منطقةٍ لإطفاء حريقٍ شَبَّ في قاع بركان، فلا الرماد يستطيع أن يُطفئ البركان، ولا الرد السريع يستطيع أن يحل مشكلةً، نريد حلولاً مُفعَّلةً، نراها أمامنا لا إعلاميًّ، بل واقعًا ملموسًا يعايشه المواطن كلَّ يومٍ، وعلى شتَّى الطبقات، وفي شتَّى المناطق، لا أن تُستَثْنَى مناطق

أو طبقات عن الحلول، ولا يُنادَى عبر المنابر بأمورٍ، ويخرجون عن طاعة ولي الأمر المنوط بحلِّ هذه المعضلات فأصبحنا مثل أوراق الشجر تتناثر يمنةً ويسرى عند هبوب رياح جنوب فتجتمع كومةُ ورق جاهزةً للإحراق عند هبوب رياح الشمال العاتية.

نصدق مَن؟ نتَّبع مَن؟ أنا متأكدة أنه غدًا سأعرف الإجابة سريعة التحضير ممَّن يملكون هذه الموهبة في الردود فورًا، وسنعود للعبة التلاعب في الكلام والخروج عن النص، فهكذا يريد مُخرِج الرواية، أن نصدق الحكاية باسم القانون والدين والمواطنة والعلم، ألم أقل لكم من البداية أنها أجوبة سريعة التحضير؟